أيامِـــي

الكتاب: **أيّامِـــي**

المؤلف: **محمد عبده يماني**

التصنيف: **سيرة ذاتية**

الناشر: **دار مدارك للنشر**

الطبعة الأولى: ديسمبر (كانون الأول) 2015

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978 - 614 - 429 - 967 - 8

Madarek مـــدارك
Madarek Publishing House دار مـــدارك للنشـــر
www.mdrek.com - read@mdrek.com

مجمع الذهب والألماس، شارع الشيخ زايد، بناية رقم 3، مكتب رقم 3226، دبي - الإمارات العربية المتحدة
Gold and Diamond park, Sheikh Zayed Road, Bldg 3 Office 3226, Dubai - United Arab Emirates
P.O.Box: 333577, Dubai - UAE. Tel: +971 4 380 4774 Fax: +971 4 380 5977

Madarekpublishing @mdrekpublishing www.mdrek.com Madarek PH madarekpublishing

أيامِــي

محمد عبده يماني

الإهداء

إلى الإنسان حيثما وجد وكان..
وإلى من يعشقون الكفاح.. ويتلذذون بخوض غمار الصعاب..
وإلى من غرسا في نفسي مُثلاً وقيماً أخلاقية حصنتني ضد الفشل.. واليأس.. والإحباط:
أبي.. وأمي..
وإلى الإنسانة التي صبرت كثيراً.. وتعبت كثيراً.. وعانت معي كثيراً:
زوجتي الغالية..
أهدي هذا العمل.. وكلي فرح بما تحقق لي بفضل إيمانهم الصادق.. وحبهم النادر لي..
وصبرهم عليَّ.. فذلك دين في عنقي إلى يوم نُبعث جميعاً..

تقدمة

تعجز المقدمات وإن طالت، أن تحيط بسيرة هذا الرجل، فقد كان - يرحمه الله - سيرةً بالحق تسير.. وخطىً لا تَمَلُّ ولا تَكَلُّ المسير.. على دروب الخير مهما تفرعت، ونحو المعارف مهما تنوعت، وإلى الواجب مهما موجباتُه تعددت.

ومن الناس من افتقد فيه الزوج التقي المخلص.. ومنهم من فقد الأب المربي الراعي، ومنهم من افتقد الصهر والزميل، وكثير منهم افتقدوا العطف واللطف. أما أنا فقد حُرِمتُ أصفى الزملاء، وأنقى الأصدقاء وأتقى الخلان والأحبة الأوفياء. فقدتَ صهرًا عزيزًا غاليًا..

ولست أدري هل أتحدث عن كل هذا، أم أتحدثُ بالتفصيل عن مدير الجامعة أستاذ الجيولوجيا، الذي حوّل الصخور والتراب إلى علم وآداب.. أم أتحدث عن الوزير بتواضعه الكبير، والذي جعل من الوزارة بيتًا للعائلةِ الإعلامية ارتقت فيه المهنة فتم أداؤها باحتراف..

ولكم أحببت أن أتحدث عن المؤمن الذي طالب الناس بضرورة تعليم أولادهم «محبة رسول الله» عليه الصلاة والسلام.. فقد كان يدرك -رحمه الله» أن تغلغل هذا الحب في نفوس الناشئة فيه الخير والهداية والقدوة والنور.. لكل الأجيال.

أرهقني -يرحمه الله - بكثرة متابعته للشأن الاجتماعي، خاصة العائلي منه، فقد كان مداومًا على صلة الأرحام، دائمًا على برّهم، وكانت زياراته لأقرب الناس لي قبل أن أقوم بها تضعني في حرج كبير.. حتى بتُّ في مرمى سهام عتابهم الحنون.

فقد كان الله مُنعمًا عليه بالوقت والقوة ليتواجد في أكثر من سرادق عزاءٍ في ليلة واحدة، ثم يختمها أحيانًا بمشاركة البعض أفراحهم. ووفاءً لكل هذا.. فما زلت أحرِصُ على زيارته في المعلاة من فترة لأخرى وأحدثه كما لو كان حيًا.. متأكدًا أن

في هذا صلةً وعبرة وراحة في الوقت ذاته. ولا أملك في نهاية هذا التقديم إلا أن أقوم بواجب الشكر للدكتور هاشم عبده هاشم جزاه الله خيرا على ما بذله من جهد في حياة الدكتور محمد عبده وبعد حياته بتسجيل وتدوين هذا الكتاب فجزاه الله خيرا.

رحم الله الدكتور محمد عبده.. فقد كان رجلاً قُضيت على يده - بأمر الله- للناس حاجات.

الداعي له بالرحمة
صالح بن عبدالله كامل

تقديم

هناك بعض الكبار.. لا تملك إلا أن تمنحهم عقلك.. وقلبك.. كلما اقتربت منهم أكثر فأكثر.. لعلمهم.. وخلقهم.. وفضائلهم التي لا تعد ولا تُحصى.. لاسيما حين تصدر فعالهم عن إيمان صادق وعقيدة صافية.. وروح نقية وشفافة وبيضاء.. وكذلك عندما تنم عن تعلُق شديد برسول الله صلى الله عليه وسلم .. وأهل بيته.. وصحابته.. فيكونون بذلك خير قدوة لكل من عرفهم أو اقترب منهم.. أو استعان بهم في أمر من أمور هذه الحياة ومسائلها..

ومعالي الدكتور محمد عبده يماني يرحمه الله.. هو من أولئك الرجال الذين وهبهم الله سبحانه وتعالى من الخصائص والخلال ما يندر في زمننا هذا.. فأنت تشعر وأنت تتعامل معه .. أنك في حضرة إنسان مختلف عن الناس.. طهارة في النفس.. ونقاءً في السريرة.. وحلاوة في اللسان.. وسماحة في الوجه.. ورقة في المشاعر.. وصدقاً في النصيحة.. ووفاءً للعهد.. وهو – في كل هذا ينطلق- من تربية صالحة نشأه عليها رجل صالح.. وسيدة صالحة هما أبواه اللذان أثرا في حياته تأثيراً لا يمكن وصفه.. فكان وفياً لهما.. وباراً بهما.. وحزيناً أشد الحزن على فراقهما..

ثم هو بعد ذلك صاحب قلب كبير لا يعرف الكراهية والحقد.. ولا الغضب والانفعال.. وكأن الله قد منحه صبر أيوب وأعطاه هدوء النفس.. وثبات العقل وصواب الرؤية في كل شؤون هذه الحياة ومع كل الأحياء..

وأنا شخصيا أعتبر نفسي محظوظاً بعلاقتي معه على مدى 40 عاماً.. وتحديداً منذ تولى مسؤولية إدارة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.. حيث شرفت بالتواصل معه.. وكنت آنذاك طالباً بالجامعة ومحرراً بجريدة المدينة المنورة.. وقدر لي أن أحشر نفسي معه ومع بقية أعضاء هيئة تدريس الجامعة في لقائهم التاريخي الأول مع جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز يرحمه الله..

كما كنت ثاني شخص بعد معالي الدكتور أحمد محمد علي.. يهنئه بصدور المرسوم الملكي بتعيينه وزيراً للإعلام في أول وزارة يشكلها الملك خالد بن عبدالعزيز يرحمه الله.. عام (1395هـ)..

وتعززت صلتي به بعد ذلك.. فكان له فضل نقلي من عملي نائباً لرئيس تحرير البلاد عام (1400هـ) إلى رئاسة تحرير عكاظ.. فكان خير موجه لي ومعين على أن أواصل مسيرتي وأن أستفيد من عظيم علمه.. وفضله.. وتوجيهاته إلى ما قبل يومين من وفاته.. حيث جمعني به لقاء ما كنت أظن أنه آخر لقاء سيكون بيننا..

فقد كنت أرتب معه.. لاستكمال مذكراته الثرية هذه.. وهي التي كلفني بكتابتها منذ أكثر من ستة أشهر من وفاته.. حيث كان يتدفق كالسيل وهو يتحدث أمامي.. علماً.. وفكراً.. ومواقف.. وقصصاً كان الإنسان عظيم الاعتزاز بأن يسمعها منه.. ويسجلها بدقائقها وتفاصيلها العميقة.. والمثيرة.. والدالة على العبرة أيضاً..

وقد اتفقت يومها مع معاليه (يرحمه الله) على أن نستكمل جلساتنا مع مطلع الأسبوع القادم لإنجاز هذه المذكرات وبصورة أكثر تحديداً.. للحديث بتوسع عن:

- أثر والديه وزوجته في حياته.

- علاقته بخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز منذ كان نائباً ثانياً وحتى آخر يوم في حياته.. فقد كان شديد المحبة والذكر الطيب له.. وربطته به علاقة وثيقة ولاسيما خلال رحلات جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز في البر.

- علاقته بصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام.

- علاقته بصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية.. وبالذات حين عمله وزيراً للإعلام.. وترؤس الأمير نايف للمجلس الأعلى للإعلام.

- رحلاته الدعوية إلى كل من أمريكا وروسيا.. وأفريقيا.. وآسيا.

- عضوياته في الكثير من المجالس العلمية لبعض الجامعات والهيئات والمؤسسات العربية والإسلامية والأوروبية.. وكذلك بعض المؤسسات الخيرية.. والإنسانية في مختلف أنحاء العالم.

- روابطه الوثيقة بفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.. الذي أثر كثيراً في حياته.

- رؤاه ونظراته ومؤلفاته ومحاضراته وحواراته الفضائية حول العديد من قضايا الفكر.. والتربية.. وحقوق الإنسان.. والمرأة المسلمة.. والإرهاب.. والحرية.. والديمقراطية.. والهوية العربية.. ومستقبل المنطقة العربية في ظل الأحداث والتطورات التي كانت سائدة إلى ما قبل وفاته.

- لقاءاته بالعديد من زعماء العالم المشهورين.. مثل رئيس الوزراء الهندي (البانديت جواهر لال نهرو، وملك المغرب الحسن الثاني، وملك الأردن الحسين بن طلال، والرئيس الفلسطيني

ياسر عرفات، والرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، والرئيس السوري حافظ الأسد، وأمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، والرئيس العراقي صدام حسين، والرئيسين المصريين أنور السادات وحسني مبارك.

لكن قضاء الله وقدره اختاره إلى جواره قبل أن نكمل هذه السلسلة من المذكرات الهامة.. وهي تغطي فترات متباعدة من حياته.. ويحتفظ بشأنها في ذكراته.. وبين أوراقه بالكثير من الوثائق والمعلومات الهامة عنها..

فبوفاته – يرحمه الله – حرمت أنا شخصياً من أن أعيش كل هذه التفاصيل وإن احتفظت في ذاكرتي بالكثير منها مما كان يرد عرضاً أثناء كتابة ما أنجزناه من هذه المذكرات التي دفع إلى كتابتها بإلحاح قوي من قبل عدد من أصدقائه الخلص ومحبيه الأوفياء وكنت أحدهم والحمد لله..

وإزاء هذه الخسارة.. خسارتنا كبلد.. وخسارتنا كشعب.. وكأمة بوفاة هذا الرجل العظيم.. وخسارتنا في إنجاز هذه الأجزاء الهامة.. فإن القرار كان من قبل حرمه المصون وأبنائه الأعزاء الذين هم بمثابة أبنائي.. القرار كان هو الاكتفاء بما توقف يرحمه الله عنده.. وإلا فإن ما لم يكتب كان هو الآخر.. بمثابة كنز آخر كان يمكن أن يضاف إلى كنز المعلومات الذي استطعت أن أستخرجه منه.. وكان في سرده للوقائع والأحداث شفافاً.. وصادقاً.. وحساساً إلى أبعد الحدود.. وكان كثير الترداد عليّ (ليغفر الله لي إن أنا بخست أحداً من الناس حقه.. أو أسأت إليه في حياته أو في مذكراتي هذه.. وأتوب إلى الله من أن أظلم أو أظلم.. والله على ما أقول شهيد)..

وأنا بدوري.. أكرر مقولته هذه.. لأنه طالبني بأن أختم بها مذكراته التي لم يقدر لها أن تستكمل.. سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يغفر له ويرحمه رحمة الأبرار وأن يسكنه فسيح جناته.. سائلاً الله سبحانه وتعالى أن نكون قد وفقنا إلى وضع الأجيال في الصورة بما ترك لهم من فكر خلاق.. وقيم أصيلة وكريمة.. وعليّ أن أعتذر للقراء عن الكثير من القصور الذي قد يلمسونه في هذه المذكرات مقارنة بفكر الرجل.. وعظيم خصاله وفعاله ومبادراته.. لأن هذه المذكرات لا تعكس حقيقة هذا الرجل العظيم.. والنادر وغير العادي.. ولكنها محاولة صغيرة.. للوقوف على بعض وليس كل ما لديه رحمه الله وغفر له.. والله ولي التوفيق.

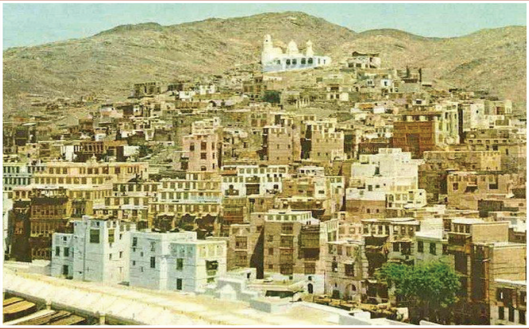
هاشم عبده هاشم

الفصل الأول

بين مكة المكرمة والرياض وأمريكا

- نشأتي الأولى
- بداياتي التعليمية
- خصائص المجتمع المكي
- ملابس الناس في مكة
- بائع البرسيم ومياه زمزم
- مكة.. مدينة المعرفة الأولى
- أهالي مكة والحج
- الحرمان من البعثة لمصر
- دراستي في جامعة الملك سعود
- رحلتي العلمية إلى أمريكا
- عضو في حكومة الطلبة الأمريكان

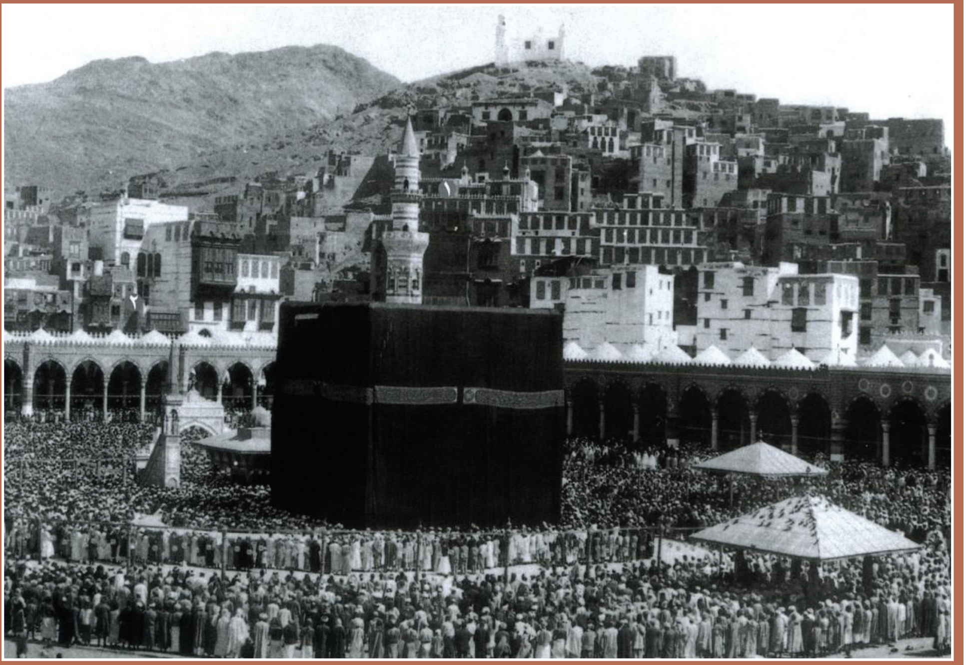
نشـأتي الأولى


ولادتي كانت في جبل السبع بنات

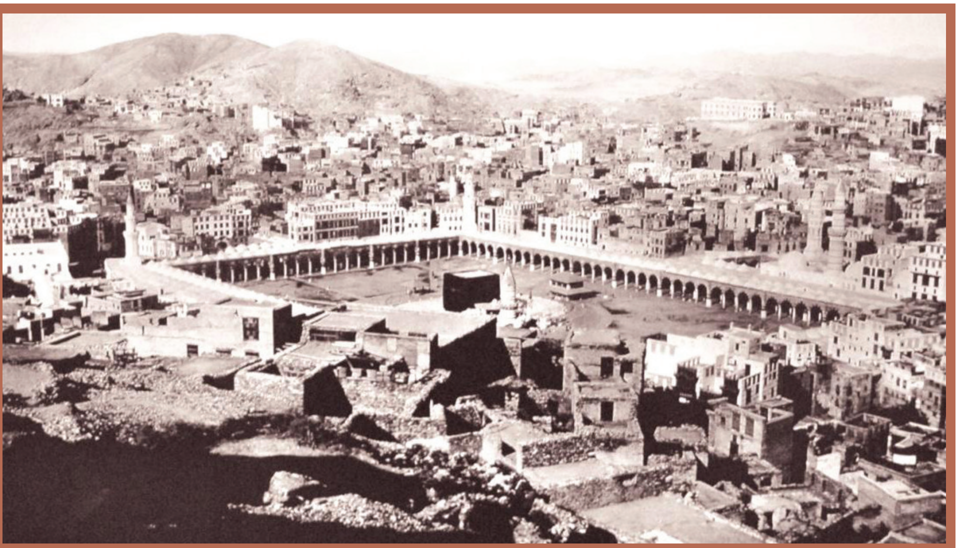
أشعر بسعادة بالغة لكرم الله علي بأن ولدت في مكة المكرمة وعشت حياتي الأولى فيها وترعرعت في رحابها وانطلقت - منها بعد ذلك – إلى مجالات حياة أخرى انتهت بي إلى مرحلة التأمل.. والعمل في سبيل الخير والإنسانية والحمد لله.

فقد ولدت في مكة المكرمة سنة 1360هـ الموافق 1940م من أب فاضل ومتدين هو الوالد عبدالله عبده قاسم العشاري، وأم كريمة ومحتسبة هي السيدة مريم محمد خمرية رحمها الله رحمة الأبرار، وكانت من آل البيت، وقد مكنني الله سبحانه وتعالى من أن أبرهما وأن أظل أدعو لهما بالرحمة وحسن المآب ما حييت، لما بذراه في أعماقي من خلال وصفات أحمد الله سبحانه وتعالى على أن وفقني لأن أجسد بها فضائلهما وأن أذكرهما بالخير مدى الحياة.

وكانت ولادتي في جبل السبع بنات بمنطقة أجياد قريباً من بيت الله الحرام، وظللت هناك حتى نهاية المرحلة المتوسطة، حيث انتقلت الأسرة بعدها إلى منطقة المسفلة وتحديداً حول «بركة ماجد» الجميلة، وكان يسكنها الكثير من قبيلة حرب حيث نشأت بيني وبين كثير منهم علاقات أخوية حميمة، لتتحول هذه المنطقة بعد ذلك إلى خليط سكاني بعد أن وفد إلى مكة مهاجرون من روسيا كنا نسميهم البخارية، وعاشوا معنا حياة بسيطة تجسدها سماحة الإسلام وتقارب شعوبه، وذلك بين التردد على المسجد الحرام وبين العمل اليومي الشاق طلباً للرزق، حيث نقف في طوابير طويلة أمام «البازان» كي يملأ كل منا «زفّته» ويحملها على ظهره إلى منزله. وكانت احتياجات الناس إلى المياه محدودة، فالزير كان يكفي الأسرة للشرب لمدة أسبوع، أما ماء الغسيل والتنظيف فكنا نحصل عليه من «بركة ماجد» المعروفة بمياهها الحلوة والمالحة، وما كان يفيض عن حاجة أهلي من المياه كنت أقوم بتوزيعه على الجيران وأحصل منهم على بعض النقود، ولاسيما حين يكون الجيران من الحجاج الإندونيسيين القادمين إلى مكة المكرمة خلال موسم الحج. وكنت أفرح بذلك كثيراً وأنفق منها على احتياجاتي الأساسية البسيطة، بالرغم من أن ما كنت أتقاضاه منهم لا يتجاوز ربع ريال عن كل زفة ماء.



حياتنا كان محورها المسجد الحرام



كان الناس يعرفون بعضهم بعضا في مكة

بداياتي التعليمية



دراستي في مدرسة الفلاح كانت من أجمل فترات حياتي

تلقيت تعليمي في البداية على يد مدرسات فضليات في منطقة أجياد، ومنطقة بئر بليلة، كالسيدة مريم البغدادية - يرحمها الله - التي كانت تدرسنا على الأرض المبادئ الأساسية للقراءة والكتابة. كما درست على يد السيدة خديجة الجاوية التي كانت هي أيضاً تهتم برعاية الأطفال وتعليمهم في المراحل الأولى من حياتهم الدراسية، ثم السيدة مريم الآشية. ولم تكن لدينا في ذلك الوقت رياض أطفال أو دور حضانة أو تمهيدي كما هو الحال الآن، وإنما كانت الدراسة على أيديهن بمثابة المرحلة السابقة لذهابنا إلى المدارس الحكومية المنتظمة. وإلى جانب ذلك كنت وبعض زملائي وأصدقائي نتجه إلى الحرم المكي الشريف ونتلقى دروساً دينية في أروقته كقراءة القرآن الكريم وحفظه وتجويده، وكذلك حفظ أحاديث الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام واستيعابها وتدبرها.

وبعد ذلك تلقيت تعليمي الابتدائي والمتوسط والثانوي في مدارس الفلاح، حيث حصلت على الشهادة الابتدائية عام 1373هـ/1953م والكفاءة المتوسطة عام 1376هـ/1956م والثانوية عام 1379هـ/1959م وكان من بين زملاء الدراسة كل من: إبراهيم مرغني، وأحمد بدر صاحب المخابز المعروفة بجدة ومكة، ومحمود خفاجي، والدكتور يوسف عبدالمنان، والدكتور سالم مليباري أمين عام جامعة الملك سعود سابقاً، والسيد غازي الصايغ، والسيد زين توفيق، والمهندس أحمد آشي، والسيد عبدالقادر فيرق، والمهندس المرحوم محمد جميل فضل، والشاعر محمد إسماعيل جوهرجي، والاستاذ عبدالكريم نيازي،



حصص الرياضة كانت محببة لنا بالرغم من الإمكانات البسيطة المتاحة

والشاعر محمد صالح باخطمة، والسيد أمين العطاس، والمستشار القانوني محمد عمر العامودي، والأستاذ محمد أنعم، والمحامي محمد سعيد طيب، والأستاذ عدنان خضري، والمهندس عبدالله الطاسان، والسيد محمد أبو لبدة، والسيد إبراهيم الماس ابن عمدة القرارة، وقد اتجه كل منهم إلى ما كتب الله له في هذه الحياة وعاش من عاش منهم وانتقل البعض الآخر إلى رحمة الله.

وكانت مرحلة دراستي هذه من أجمل فترات حياتي كما كانت زمالتي لهؤلاء وغيرهم جميلة ولا يمكن أن تنسى، لاسيما وأنها تذكرني باستمرار بأستاذنا ومربينا الفاضل الأستاذ المرحوم السيد إسحاق عزوز، فقد كان بالنسبة لنا بمثابة الأب والمعلم والموجه، وكان مدرسة في الخلق والعلم وفي التوجيه وفي التربية والتعليم والرعاية.

في ظل الدراسة على الأرض على يد سيدات فضليات إلى الدراسة تحت ضوء فوانيس الغاز في المرحلة الابتدائية، تشكلت شخصية شباب مكة في تلك الفترة، بين عناء الفقر، وشدة الطموح، وبين الرغبة في التعلم واكتشاف هذا العالم وأسراره، وبين خدمة ضيوف الرحمن وتحقيق الذات بصور مختلفة. وقد ساعدنا على بلورة شخصياتنا علماء أجلاء في أروقة المسجد الحرام، فقد كان أكثرهم أساتذتي في المدرسة صباحاً وسرعان ما نجدهم في الحرم مساءً، جزاهم الله عنا جميعاً كل الخير. فقد كان التعليم في تلك الفترة احتساباً لوجه الله تعالى إذا ما قِيس بمعدلات رواتبهم ودخولهم المتواضعة والاهتمام الكبير الذي يولونه لنا، وبفيض المعلومات وجميل التوجيه والرعاية التي نتلقاها منهم.

وكنا نجلهم كثيراً فإذا مر أحدهم بشارع من شوارع الحي أو صادفناه في إحدى طرقات المدرسة أو ردهات الحرم المكي الشريف وقفنا حتى يمر تأدباً له، واحتراماً لمقامه لمكانته في نفوسنا.

ولم تكن لدينا في تلك الفترة كتب دراسية كافية حتى كنا نتبادل المتوفر منها فيما بيننا، أو كنا نشتري المستعمل منها من طلبة آخرين سبقونا في المرحلة الدراسية. وقد ساهمت حياة الشظف والشدة هذه في بلورة حياتنا بالقدر الذي أسهمت في إصرار كل منا لكي ينطلق للبحث عن المستقبل الأفضل بعزيمة نادرة وقوية.



كنا نروح عن أنفسنا ولكن الحلم بالمستقبل الأفضل ظل يراودنا باستمرار



علاقتي بزملاء دراستي في الفلاح امتدت عبر جميع مراحل حياتي

خصائص المجتمع المكي في تلك الفترة

كان مجتمع مكة المكرمة مجتمعاً مترابطاً يعرف بعضه بعضاً في الحارة وفي المدرسة وفي أماكن العمل المختلفة. فإذا سافر الرجل منهم خارج مكة المكرمة ولم يكن لديه أولاد فإن زوجته تقوم بعجن العيش وإعداده ووضعه على طاولة أمام الباب الخارجي، حتى إذا مر أحدنا أخذه وذهب به إلى الفرن وعاد بعد خبزه ووضعه أمام باب ذلك المنزل وذهب في سبيله بكل أدب واحترام وبسعادة بالغة.

وكانت حدود مكة لا تتعدى الثكنة العسكرية الواقعة على يمين القادم من جدة، وكانت الثكنة تعتبر نهاية حدود مكة من الشمال، حيث توجد بيبان مكة المعروفة باسم منطقة البيبان، وكانت فيها قهوة مشهورة تسمى قهوة المعلم، يجلس فيها كبار أهالي مكة والقادمون من خارجها للاستراحة بعد رحلة شاقة، كما كانت هناك منطقة الشهداء ولم يكن بها عمران، أما في الناحية الجنوبية فقد كانت هناك منطقة جرول والحفاير، وكان بها بيت الشيخ محمد سرور الصبان الذي تقلد وزارة المالية بعد معالي الشيخ عبدالله السليمان، وهو آخر موقع للخارج من مكة. أما من ناحية الشرق فقد كان القصر الملكي وقصر السقاف وقصور أبا نمي في المعابدة آخر حدود المنطقة، وكان يسمى قصر السقاف وقبله كان بيتاً لآل الشيبي، أما من ناحية المسفلة فقد كانت بركة ماجد هي آخر حدود مكة في تلك الفترة، ومع ذلك فإن كل من كان في مكة يعرف بعضهم بعضا حيث تجسد هذا التلاحم النادر في أكثر من صورة.



السوق الصغير بمكة حيث كنا نسوق الحمير إلى زقاق البرسيم

فقد كانت الأسر تعيش في وحدات سكنية متجاورة يسكن فيها الأب والجد والأولاد والحفدة، وكلما تزوج ابن وسّعوا في المنزل ليكون معهم فيه. ليس هذا فحسب، بل إن بعض الناس إذا رأوا إنساناً ضعيف الحال ولا يستطيع أن يبني لنفسه بيتاً دعوه ليبني غرفة فوق منزلهم ليعيش فيها وكأنه جزء من تلك الأسرة، ومن هنا نجد الآن الكثير من القضايا المعروضة على المحاكم بسبب هذا التداخل في الحياة المشتركة، حيث أصبح الدور السفلي مملوكاً للبعض بصكوك شرعية والأدوار العليا مملوكة لآخرين بنفس الطريقة، وذلك قبل أن تظهر مسألة الشقق المملوكة في وقتنا الراهن. فالكل كانوا يعيشون في أحياء بسيطة تسمى «الحارات»، ولكل حارة أهلها وسكانها وعمدتها وفقيهها. وكان هناك كبار أهل الحارة الذين يرجع إليهم الناس في كل شأن من شؤون حياتهم، يحتكمون إليهم عند الحاجة ويلتمسون عونهم ومساعدتهم عند الضرورة.

وكان عمد الحارات يُختارون بعناية وبدقة، ولا يعيّن العمدة إلا من الرجال المحترمين الذين يشهد الناس لهم بالأخلاق والرجولة والمسؤولية، ودون أن يكون لذلك نظام يقنن هذا الاختيار أو يضع شروطه ومواصفاته، وإنما كان الأمر يتم بحسب العرف ووفقاً للسمعة الطيبة.

والعمدة في العادة يعرف كل سكان الحي، وقد روى لي الشيخ عبدالعزيز محضر، وهو من قدامى أهل مكة المكرمة ومن شيوخ الركب الذي كان يُسيَّر إلى المدينة المنورة، حادثة توضح هذا الدور في ذلك الزمن، حيث قال: كنا في أحد المنازل الواقعة عند مدخل الحارة فسمعنا طرقاً شديداً على النافذة، وعندما دققنا في الصوت سمعنا صاحبة المنزل تقول: «يا رجال.. يا عمدة.. الحارة اندعست»، وتبينا بعد الاستيضاح والتحري أنها تقصد أن



عمد الحارات بمكة المكرمة كانوا يختارون بعناية ودقة

رجلاً غريبة قد دخلت الحارة، أي أن شخصاً من غير أهل الحارة قد تسرب إليها، وهذا يدل على مدى ترابط أهل الحارات، حيث إن كل حارة تعرف من فيها، كما أن العمدة يعرف جميع أولاد الحارة ولا يسكن فيها غريب إلا ويمر عليه قبلاً ثم يستأذن منه في السكنى، بعد أن يعرفه بنفسه وبهويته وبكل معلومة ضرورية عنه. وكان لكل من هؤلاء العمد شيخ لمهنته يتحكم في قوانين الصنعة، فلا يعمل أي إنسان إلا بإذن شيخها، وحتى العوائل كانت تسمي باسم صنعتها مثل بيت النجار وبيت الحداد وبيت الكتبي وبيت العطار وبيت الجزار.

وتعتبر التجارة من أهم الأنشطة عند سكان مكة، وكانت لا تعدو أن تكون مجرد استيراد للسلع وتصريفها والمتاجرة فيها بيعاً وشراءً مع أهل البادية أو الأقاليم القريبة منا أو البعيدة عنا مثل بعض الدول الإسلامية ولاسيما قبل وبعد مواسم الحج، وإن كان عدد المتهنين للتجارة محدوداً مقارنة بالملتحقين بالمهن الأخرى السالفة الذكر.

وكان معظم أهل مكة يشتغلون بالتجارة البسيطة بشتى أنواعها في دكاكينهم، فهذا عطار، وذلك فران، والثالث جزار، وآخر يبيع العطور والتوابل، وهناك لبان في أطراف الحارة وفوّال، ولكن المطاعم قليلة، فقد كان الناس يميلون إلى الأكل في منازلهم، ما عدا العمال والبسطاء، وفي الوقت نفسه لم يكن لأهل مكة بداخل مكة اهتمام بالزراعة إلا في مناطق معينة، وذلك لأن المناطق الزراعية كانت تحيط بمكة وليست بداخلها، مثل وادي فاطمة، والجموم، وطريق الطائف، والتنعيم، وأجزاء من وادي إبراهيم، وأطراف المسفلة حول بركة ماجد، والبقية منهم يركزون اهتمامهم على خدمة الحجاج، ويكتفون بالدخل

السنوي الذي يأتيهم من هذا العمل الذي يقبلون عليه برغبة في خدمة الحاج قبل الرغبة في الكسب، وأذكر أن الحاج كان يخجل أن يسأل عن تكلفة الحج عندما يأتي للمطوف، ويكتفي وهو يغادر بأن يضع تحت السجادة المبلغ الذي يقدمه، ويحيي المطوف، وبعضهم يقبّل يده ويقول: أرجو قبولها واستر ما واجهت يا سيدي.

وكان الحال قبل ذلك أن الحجاج يأتون ويجدون بيوت أهل مكة مفتوحة ويدخلون أي بيت يشاؤون، وخاصة أن هذه البيوت كانت وقفاً لاستضافة الحجاج وإكرامهم، وكان من يسكنها من أهل مكة يجعل أبوابها مفتوحة أثناء قدوم الحجاج، ومما هو مهم أن نذكره هو أن بعض أهل قريش كانوا يقيمون في منطقة منى ويتخذونها سكناً دائماً ثم يقومون بتأجيرها في مواسم الحج، وعلى هذا الاساس كان الناس جميعاً يسكنون في خيام الا الموسرين منهم فقد كانوا يستأجرون بيوتاً وعمائر، وعلى هذا جرت على لسان أهل مكة أمثال مشهورة منها «من تمام الغنى بيت في منى»، أي إنه لا يسكن البيوت في منى إلا الأغنياء، فقد كان الناس يسكنون في بيوتهم في مكة على قدر حالها ولا تتطلع إلى أكثر من ذلك لأن الظروف المعيشية كانت قاسية والموارد بسيطة.

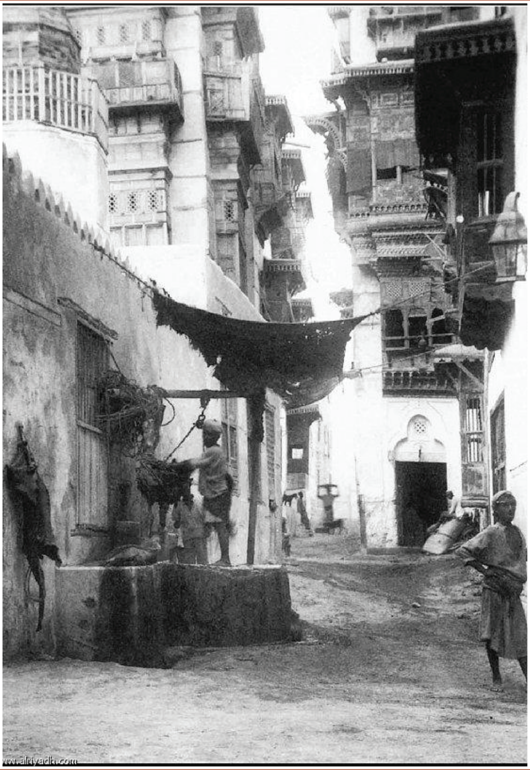
أما العمل بالرعي فقد استقطب عدداً كبيراً من البسطاء نظراً لامتلاك أهل مكة في ذلك الحين الكثير من الثروة الحيوانية ، وكانت تلك المهنة تعتبر مهنة شاقة، لذلك فإن معظم من كان يشتغل بها هم من الأعراب المقيمين بمكة أو بالقرب منها من أولاد قبائل حرب وهذيل أو من بعض الوافدين إليها.

وتعتبر الدباغة والجزارة والخياطة والطباخة والحلاقة والحمالة من بين المهن الصغيرة التي زاولها بعض الناس، وباستثناء التجارة فإن الشريحة الثالثة من السكان هي من الموالي والرقيق، فقد كانوا يشكلون العمود الفقري في النشاطات الحرفية سالفة الذكر، حيث كان بعضهم يشتغل لصالح نفسه وبعضهم الآخر يشتغل لصالح غيره بأجر أو بنسبة من الدخل المتحقق ويعرف بالغلة، أما الرقيق خاصة فقد كانوا يعملون لأسيادهم وبعضهم الآخر كان يؤدي للسيد مبلغاً محدداً أو خراجاً معلوماً كل يوم أو كل شهر مقابل عمله الحر(1).

وتنم هذه الصور الاجتماعية المتفاوتة الأبعاد عن طبيعة أهل مكة السمحة والتي ترفض التفرقة أو التمييز بين الناس أو الفوقية على بعضهم، فقد كان الجميع يعملون بروح الفريق الواحد تجمعهم رابطة إنسانية وحسية وأخلاقية عالية القيمة، حتى إن بعض كبار أهل مكة لم يترددوا في تزويج بناتهم من مخدوميهم، وكذلك في إشراكهم في تجارتهم بصورة أساسية وجعلوهم في حكم أولادهم، كما كانوا يعتمدون عليهم في تسيير أمور حياتهم الخاصة داخل منازلهم وخارجها. وتلك خصائص يندر توافرها في غير سكان مكة في تلك الفترة الزمنية الجميلة.

(1) الحياة الاجتماعية في مكة، د.إلهام أحمد البابطين صـ453، 454، 455

وحتى الأغوات في المسجد الحرام كان لهم شيخ يعرف بشيخ الأغوات، فقد كانوا يفدون إلى مكة المكرمة من بلادهم كهدية من أهاليهم لخدمة المسجد الحرام. وكان بعضهم يصل «مخصياً»، حيث يقوم الحاكم في البلد الإفريقي الذي جاء منه (الآغا) بخصيهم صغارا واستخدامهم عندما يكبرون لخدمة نساء الطبقات العليا في مجتمعاتهم، ويبعثون ببعضهم إلى الحرمين الشريفين، وهم في الغالب من الأحباش والنوبيين.
وعملية قدوم الأغوات لخدمة الحرمين قديمة، ومرت بعصور مختلفة وخاصة أيام كان يستخدمهم الملوك وبعض الخلفاء العثمانيين لهذه الأغراض، فيهدون بعضهم إلى الحرمين، وكانوا ذوي وجاهة ومركز وهيبة في الحرم، وشيخ الأغوات كان من الشخصيات المقدمة والمعتبرة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ويلاحظ مجموعة من الباحثين الذين درسوا تاريخ الأغوات، واطلعت عليه شخصيا أن بعضهم ينحدر من عوائل كريمة، وبعضهم من الأشراف والسادة الذين أهدتهم أسرهم لخدمة الحرمين الشريفين.
ويصف السيد عباس بن علوي المالكي في كتابه «هكذا كانوا» الرعيل الأول من أبناء مكة فيقول: إن ذلك الجيل كانت له عادات وتقاليد كثيرة وروابط فيما بينهم، وكانوا يفتخرون بنسبهم، وعندما يقولون هذا فلان ابن حارة كذا فإنهم يعنون أنه تربى في الحارة وهي المدرسة الأولى التي يتربّى فيها الرجل الشهم صاحب الغيرة والمروءة، فابن الحارة هو العضو الفعال في المحلة بحكم معرفته بمنافذها ومداخلها وأزقتها وأسواقها ومن يكون فيها من العائلات، كما أنه صاحب فراسة دقيقة بحيث يعرف السارق ويعرف المتلبس بالجريمة ويعرف الرجل الأجنبي الذي دخل الحارة، وعلى سبيل المثال فإذا كان الرجل ماراً من داخل الحارة ويريد مكاناً آخر أو حارة أخرى وكان الطريق يمر من هذه الحارة، فترى أعين أهل الحارة تطارده حتى يخرج من تلك البقعة التي يقطنون بها حتى يستلمه أهل الحارة الثانية التي تلي حارتهم، وهكذا يتنقل من حارة إلى حارة إلى أن يصل إلى المكان الذي يريده وهو مراقب من جميع أهل الحارة.
هكذا كان أهل مكة، فهم أصحاب غيرة على الأعراض وعلى التراب وعلى الأعراق والدم واللحم، وأصحاب مروءة ونخوة، ومن عاداتهم أنهم أهل عمل وصنعة ولا يرضون بالعجز و الكسل، فترى الواحد منهم إذا أصبح نهض بنشاط حيث يقوم مبكراً متضرعاً بالدعاء إلى الله «أصبحنا وأصبح الملك لله»، فيؤدي ما عليه من صلاة وذكر، ثم يتجه إلى العمل، فإذا كان معلم بناء فيبادر إلى العمل قبل العمال إلى أن ينتهي العمل.
وكان العمل في ذلك الوقت يبدأ من الساعة السادسة صباحاً حتى وقت صلاة الظهر ثم يصلون الظهر ويتناولون طعام الغداء، ويحرصون على «القيلولة»، يعودون بعدها إلى العمل حتى قبل غروب الشمس بساعة، ثم «يبطلون» على لغة أهل الصنعة، ويعود كل واحد منهم إلى داره ويلبس ملابسه النظيفة بعد أن يغتسل، ثم يذهب مع الإخوان للسمر في بعض المقاهي المنتشرة في حارته، مثل قهوة صالح عبدالحي، وقهوة الخنطار وتسمى كنكار أو في غيرها، والمقهى هو عبارة عن مكان يجتمع فيه أهل الحارة وأهل



الحارة كانت المدرسة الأولى لنا

الحرف، وكانت توجد مقاهٍ للأدباء في آخر محلة المسفلة يتسامرون فيها ويتذاكرون في الأدب والشعر وبعد صلاة العشاء إذا كانت هناك حفلة أو زواج أو مناسبة سعيدة يذهبون إليها، ويكون السمر في حدود المعقول ويمكث الواحد منهم وقتاً من الليل ثم يعود إلى داره، ومنهم من يتجه إلى الحرم للصلاة والجلوس في حلقات الدرس والاستماع لطروحات العلماء، وكان معظم أهل الحرف لا يجيدون الكتابة ولا القراءة ولكنهم كانوا يتحلون بالأخلاق الإسلامية الحميدة أخلاق طلاب العلم.

وكان الناس يفرقون بين ابن الحارة وبقية الأولاد سواء كانوا في أعمالهم أو في مدارسهم، فقد عُرف ابن الحارة بأن له زياً خاصاً في لبسه، وحين يضع العمامة على رأسه، وغالباً ما تكون «الغبانة»، وفي وسطه يضع حزاماً يعرف بـ«البقشة» أو «الكمر»، وابن الحارة شاب يتحمل المسؤولية مع رجال الحارة والعمد والنقيب في الحفاظ على أمن الحارة وسلامتها، وكان الناس يتعاونون في إصلاح شأن أولاد الحي ويؤدبونهم، وإذا وجدوا منهم خطأ عاقبوهم دون أن يعترض على ذلك الأب أو أي إنسان من أفراد



كان الناس في مكة يتسامرون في قهوة عبدالحي وقهوة الكنكار

الأسرة، وكان لأولاد الحارة عادات عندما يمر الرجل الكبير في شارع وهم يجلسون يقفون احتراماً له، ويتعاونون على نجدة أهل الحارة ومساعدتهم في حالة وقوع ضرر، وإذا رأوا امرأة في الطريق فسحوا لها الطريق وغضوا النظر، وكانت النساء تلبس ملابس طويلة وفضفاضة مثل البيجامة وأصلها من الهند، والقنعة وأصلها من تركيا، والبرقع وهو من البادية.

وكان من شيم أولاد الحارة الفزعة في المناسبات، ولهم ملابسهم الخاصة مثل: الحزام والبقشة والسديرية والعمة الصغيرة، وبالمقابل كان هناك أولاد يشتغلون بالدراسة، وليس لهم أي مشاركات في الحارة إلا في حدود بسيطة، ولا يلبسون ثياب أولاد الحارة، وإنما يلبسون الثياب العادية، وعليها غطاء الرأس أو عمة صغيرة، ولكنهم لا يقتربون من محافل الحارة في الرقص والمزمار، ولا يسعون للاحتكاك بأولاد الحارة، ولهذا كانوا يطلقون عليهم تسمية أولاد خرقة يعني أولاد بملابس غير ملابس أولاد الحارة. (1)

(1) هكذا كانوا، عباس علوي مالكي

ملابس الناس في مكة

وإذا ما نظرنا إلى ملابس الناس في ذلك الوقت نجد أن الملابس النسائية تتألف من السروال والسديرية ثم الكرتة (الفستان) والمحرمة والمدورة للرأس، كما جاء في كتاب عبدالله الخطيب: (كيف كنا)، أما الملابس التي كان يرتديها الرجال من عامة الناس من أرباب المهن، كالعمال ومن في حكمهم من سواد الناس، فهؤلاء يلبسون بصورة عامة ثياباً واسعة، قصيرة تستر الركبة، ولا تصل إلى منتصف الساق، ويتحزمون بحزام عريض جداً من شال أحمر، ويعتبرون أن هذا الحزام «الحاروي» نسبة إلى الحارة يميزهم عن أولاد «الخرقة»، وأولاد الخرقة وصف يطلق على المتعلمين، ومن إليهم ممن يتخذون سمتاً مهذباً في لباسهم، ولعلها إشارة إلى أن هذه الملابس التي يصفونها بالخرقة تميزهم عن سواهم، وتحت هذا الثوب سروال قصير يمتد إلى ما فوق الركبة، ولكنه واسع، أما الرأس فله كوفية جاوية، ولكنها تتميز بقصرها فلا تستر إلا وسط الرأس، ثم تبقى مرفوعة إلى أعلى، بينما الكوفية التي يستعملها المتعلمون تستر الرأس كله أو تُسدل على الكتف، وهذا الشال غالباً ما يكون من قماش متين كذلك، وهو يعتمد على حالة الناس المادية، فإن كانوا من رقيقي الحال، كان من قماش قطني أحمر اللون، رخيص الثمن، وإن كانوا من ميسوري الحال، كان لباسهم من «الغبان»، أما الثوب فهو من الدوت، ولكنهم كانوا يصبغونه بلون أخضر غامق، وكانت في البلاد مصابغ تؤدي هذه المهام، وكثيراً ما تمر بهذه المصابغ فترى هذه الثياب قد نُشرت على الحبال بعد إتمام صباغتها، ولعلهم كانوا يلجؤون إلى هذه الصباغ ليتحمل الثوب ما يتعرض له لابسه من أوشاب مهنته، لأن هذه الطبقة من الناس كانت تباشر الأعمال المهنية الشاقة، كالبناء، أو الجزارة، أو الفرانة، أو أعمال البحر أو حمالة البضائع، وما إليها، ولم يكن بوسعهم أن يغسلوا ثيابهم كل يوم، إنما كان المتوسط أن يبقوا بالثياب بضعة أيام، فإذا كان يوم الجمعة وهو يوم العطلة، استبدلوا بالثوب القديم ثوباً آخر نظيفاً، ليتم تغييره بعد أسبوع.

هذا بالنسبة لسواد الناس، أما ملابس التجار والعلماء فقد كانوا يلبسون الثياب البيض من الكتان أو البفته، وفوقها الشاية، وهي عبارة عن جُبة مفتوحة، إلا أنها تربط بحزام رفيع لقفلها من الوسط، ثم الجبة من فوقها، أما الرأس فإن العمامة الحجازية الألفى تزينه، وتتميز هذه الملابس بأنها فضفاضة، وأن قماشها بسيط لا مغالاة فيه، وأن أكمامها واسعة، وفي الصيف يكون القماش المستعمل من البفتة أو من الكتان الأبيض، إذا كان الجو معتدلاً، أما في الشتاء فإن الجبة تكون من الصوف ومن ألوان هادئة، تليق بوقار التجار وأهل العلم، وتتميز العمامة بلفتها الكبيرة والتي لا مغالاة في إتقانها وربما استعمل العالم معها شالاً من الصوف يطوق به عنقه ويسدله فوق كتفيه وخاصة في



الرجال كانت لهم ملابسهم الخاصة مثل الحزام والبقشة والسديرية

الشتاء، والثياب تزود دائما بجيوب متوسطة الحجم في النصف الأدنى من الثوب يضع فيها العالم أو التاجر منديله ومسبحته وكيس نقوده وبعض ما يحتاج إلى حمله، وغالباً ما يكون للعالم تابع يحمل سجادته وكتبه وإلا حملها بنفسه، أما الملابس الداخلية فهي السروال الطويل والعرَّاقية، والسروال عبارة عن بنطلون وسيع يشبه البيجاما التي يستعملها الناس حالياً إلا أنه واسع جداً، وله تكة تربط في الوسط، والعرَّاقية، وهي عبارة عن فانيلا، من قماش خفيف جداً -من الشاش- وهو غزل القطن الرقيق بحيث تشف عما تحتها، ولها أكمام نصفية وتستعمل في الصيف وسميت عرّاقية لأنها تمتص العرق الذي يفرزه الجسم صيفاً(1)

في هذه البيئة المكاوية المتنوعة، والمتصفة بالازدحام، وبالجمع بين الأصالة والمعاصرة بقوة، عشت حياتي الأولى تشاركني فيها شقيقتي فاطمة، وهي الآن من المسؤولات عن التنمية والجمعيات الخيرية بحي المسفلة بمكة المكرمة، وكذلك أخ واحد من أمي وهو عبدالله بن محمد باحويرث، حيث تقاسمنا -ومنذ وقت مبكر- مختلف صور شظف العيش وظروف الحياة البسيطة، ومضى كل منا مسيراً لما وجهه الله إليه وأراده له.

وإن أنسَ لا أنسى من جميل ذكريات الطفولة أمسيات الخميس، حيث كنا نمشي في العرضي وهي ناحية فندق الشهداء اليوم وما دون الحرم وقبل طلعة المصافي في هذه المنطقة، حيث كانت هناك الثكنة العسكرية وكانوا يقيمون فيها العروض الجميلة المصاحبة لأصوات الموسيقى العسكرية - بعد أن سمح بها- وكان اللواء طه خصيفان رحمه الله آنذاك يركب على حصان جميل ويتجول، والحصان يرقص والموسيقى تصدح

---

(1) الحياة الاجتماعية في الحجاز، محمد علي مغربي

ونحن الشباب نحضر لنسمع ونستمتع بهذه الصور الجميلة التي كنا نفرح بها، ثم نذهب بعدها إلى الحرم ونصلي. وكان معظم الناس ينامون بعد صلاة العشاء مباشرة، فلا شيء يلهيهم أو يحول بينهم وبين النوم المبكر، وحتى الإذاعة التي كانت تصدح من مكة كانت لا تصلهم بصورة واضحة أو جذابة، فيما كان كبار السن يمضون جزءاً من وقتهم في مسامرات لطيفة، وبعضهم يتداول بعض القصص أو الأشعار القديمة لفحول الشعراء، وفي بعض الأحيان تجد من يقرأ عليهم قصة عنترة بن شداد العبسي وهم يتابعونها بحماس شديد، ويبلغ الانفعال بهم إلى درجة الخصومة خصوصاً إذا وصل الفارس إلى منطقة وتعمد المتحدث أن يتوقف عن استكمال بقية القصة، فإذا بالبعض يصرخ في وجهه: أرجوك كمل.. كمل.. أرجوك فكه من الأسر..، وذلك بفعل شدة اندماجهم مع القصة وتأثرهم بأحداثها.

بائع البرسيم ومياه زمزم

هذه الحياة البسيطة اختفت الآن ولم نعد نرى شيئاً من ملامحها. فلقد كان الأستاذ على اتصال مستمر مع طلبته، والوالد بالنسبة لكل واحد فينا هو كل حياته، ولا يتحرك إلا بعلمه وتحت إشرافه، والعمدة يسأل عن كل إنسان من سكان الحارة إذا هو لم يره ليوم واحد، ونفس الحال يفعله نقيب الحارة عندما لا يرى أحدنا في «الزقاق»، وكان من حق أي رجل من رجال الحارة أن يؤدب أي ولد من الأولاد إذا ارتكب خطأ دون أن يسأله أحد عن ذلك، ولم يكن في حارتنا سوى جزار واحد يذبح خروفاً واحداً ويشتري من هذا الخروف جميع أهل الحارة، ويبقى في نهاية اليوم جزء من هذا الخروف لم يبعه لأن الإنسان كان لا يشتري إلا نصف أو ربع «أقة» هي كل ما احتاجه في ذلك اليوم، لأنه لا توجد ثلاجات لكي يخزن فيها ما يفيض عن تلك الاحتياجات، وكان الناس يشترون الخضار طازجة وبكميات محدودة، حيث كنا نخرج من المسجد الحرام إلى السوق الصغير الذي كان مليئاً بالفواكه والخضروات والأطعمة البسيطة ومراكز بيع الفول والمطبق، وفي آخر هذه السوق يوجد «زقاق البرسيم»، وكنا نأخذ البرسيم من حي المسفلة وكان بها بركة ماجد وهما مصدر ماء كبير جداً وكنا نسبح فيها وتسيل مياهها إلى بساتين «الهيطلي»، ثم إلى طريق الحسينية ونسوّق على الحمير إلى زقاق البرسيم في السوق الصغير مقابل نصف ريال أجرة إيصال البرسيم وحراستنا له، حيث كان الناس يشترون البرسيم لإطعام حيواناتهم.

وكنت أحد الذين يبيعون البرسيم مثل بقية أقراني، وكان أصحاب المزارع يحصدون البرسيم ثم يضعونه على الحمير ويطلبون منا أن نسوق الحمير وهي محملة به مقابل مبالغ بسيطة تعطى لنا.

كما أنني كنت أذهب للحرم وأسقي الناس من ماء زمزم خاصة أيام الحج وآخذ منهم بضعة قروش أفرح بها كثيراً، وقد لا أحصل مقابل ذلك على شيء بالمرة، وإذا نزلت أمطار على الحرم وامتلأت ساحته الداخلية بالماء كنا نذهب كباراً وصغاراً لتنظيفه، وكان الحرم كله «حصاوي» وليس مرصوفاً بالرخام كما هو الحال الآن، وكنا ننشد أثناء التنظيف بكل سعادة ونقول:

لا إله إلا الله   جينا نبرِّح بيت الله

وكنا نردده عدة مرات ونحن فخورون بأننا جئنا لكي نكنس بيت الله، لأنه لم تكن هناك مجار، فقد حدث ذات مرة أن اضطر الحجاج إلى الطواف بالكعبة وكأنهم يسبحون وسط مياه الأمطار التي كانت تغمر ساحات الحرم إلى ارتفاع كبير.



الأسواق في مكة قديما

تلك صورة، أما الصورة الأخرى التي ترسخت في ذهني، فهي صورة مجتمع مكة النظيف وغير الموبوء رغم توافد آلاف الحجاج والمعتمرين عليها على مدى العام، فقد كان هناك ما يسمى «التكية المصرية»، وأنشئت منذ العهود العثمانية، كانت عبارة عن مراكز خدمة تضم الصحية كمركز صحي لخدمة الناس طوال العام، وكذلك الحجاج الذين يفدون من مصر أو من غير مصر وهي في مجملها مركز خدمة اجتماعية.

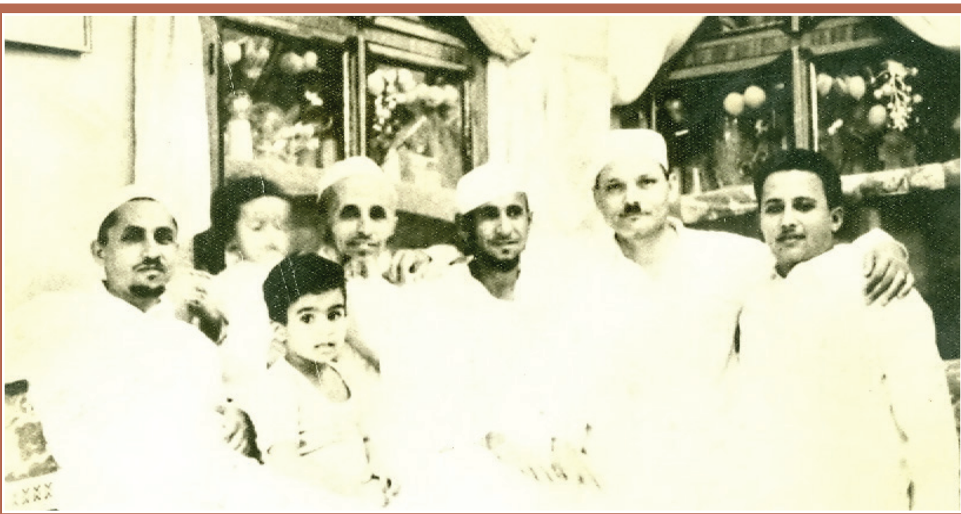
وكانت التكية المصرية تقدم للناس الفقراء قرصاً من العيش وصحناً من الشوربة يومياً خصوصاً أولئك الذين كانوا يقيمون منهم في الحرم ويخرجون منه بحثاً عن الطعام والعلاج في هذه التكية، فقد كان بها مركز طبي، وكان بجوارها مركز ضخم يسمى «الحميدية» يضم كل أجهزة الدولة من شرطة وقضاء وأمن، حتى إن الملك عبدالعزيز كان يداوم في الفترة الأولى في نفس الموقع.



والدي الشيخ عبدالله عبده يماني (إلى اليمين) رسخ في ذهني ملامح الحياة

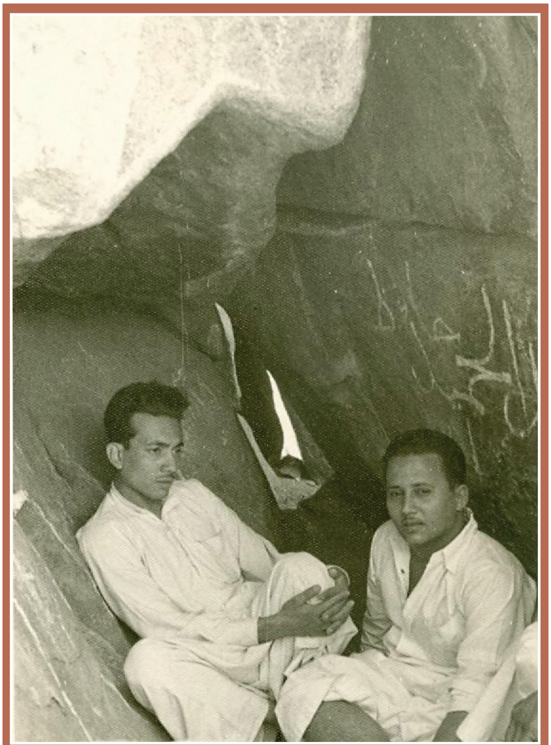
وكان أبي يرحمه الله يعرفني على هذه الأماكن ويرسخ في ذهني بعض ملامح الحياة في مكة رغم بساطة حياته. فقد كان فرّاناً يعمل لدى الشيخ عبدالله كعكي.

وكانت المحلات التجارية تفتح أبوابها بعد صلاة الفجر مباشرة، وبالذات دكاكين الفوالة، والجزارة، والقماشة، وكان الباعة يستبشرون باستقبال زبائنهم في هذا الصباح الباكر، كما



جميع أفراد الأسرة كانوا يساهمون في تربيتنا وتوجيهنا

كانوا يعملون كأسرة واحدة بنفوس عالية وكريمة، فإذا جاء زبون لأحد الفوالة وقال له أريد فولاً بكذا يغرف له، فإذا جاء زبون آخر وقال له أريد فولاً اعتذر منه وقال له: صاحب المكان غير موجود، وأنا لا أملك حق التصرف في جرة الفول، يفعل هذا عنوة حتى يضطر الزبون إلى الذهاب إلى بائع فول آخر كي يسترزق منه ويستفيد هو الآخر، وعندما تسأله لماذا فعلت هذا قال لك «خليه يستفتح»، كي يتقاسما الرزق، ويعيش كل منهما حياة هانئة وخالية من الأنانية وحب الذات.



كثيرا ما كنا نلتمس السكينة في غار حراء

فقد كان قلب كل منهم على الآخر، حتى إنهم إذا وجدوا شاباً تقدم به السن سألوه لماذا لم تتزوج بعد، فإذا قال لهم إنه لا يملك المال أمدوه به وساعدوه على إكمال نصف دينه، وإذا كانت عند أحدهم ابنة في سن الزواج يطلب منه أن يُحضِر أهله لكي يتقدم لخطبة ابنته ويزوجه بها ويدفع العريس المهر الذي أعطاه والدها له كي يقدمه له أمام الناس كصداق، وكان والد العروس يأمر ابنته عندما تنتقل إلى بيت الزوجية بأن تكون كل شيء في حياة زوجها ويقول لها أنت الزوجة وأنت الخادمة.

مكة مدينة المعرفة الأولى

أما بالنسبة للعلم والتعلم في مكة المكرمة فقد كان محوره المسجد الحرام الذي كان بمثابة جامعة مفتوحة، وكان يعج بالحلقات والدروس، وكان للمدرسين حرية تامة في اختيار تدريس مادة أو مواد معينة، كما كانت لهم حرية الاختيار للكتب المعتمدة في التدريس، وكان هناك إقبال كبير من قبل العلماء المجازين للتدريس داخل أروقة المسجد الحرام في الفترة المبكرة.

وقد مر التعليم في المسجد الحرام بثلاث مراحل: المرحلة الأولى: وبدأت في مطلع القرن الرابع واستمرت حتى عام 1322هـ، ثم المرحلة الثانية: واستمرت من العام 1322هـ المصادف لصدور نظام التدريس بالمسجد الحرام وحتى بواكير العهد السعودي، والمرحلة الثالثة: وبدأت من بداية عام 1347هـ وحتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري.

فقد كان التعليم في الحرم بمثابة مؤسسة تعليمية لها شخصيتها وتنظيماتها، فالمدرسون كانوا ثلاث فئات: مدرسون رسميون، وملازمون للمدرسين، ومدرسون غير رسميين، وتتميز كل فئة منهم عن الأخرى رتبة ومظهراً، ويقوم بتنظيم وإدارة النشاط العلمي والتدريسي «شيخ العلماء». ولا يُعترف لأحد في المجتمع السعودي بلقب «فقيه» أو «عالم» إلا إذا باشر بالتدريس في المسجد الحرام، وقد توافر في تلك الفترة عدد كبير من الفقهاء والعلماء للتدريس فيه من أبناء مكة ومن علماء الأقطار الإسلامية الأخرى المهاجرين إليها والمقيمين فيها.

وكانت عملية التدريس تتم بعد أداء صلاة الجماعة وتفرق الناس، حيث يجتمع الناس في حلقات منتظمة حول المدرسين المجازين في التدريس بأروقة المسجد، ويستمر حتى الشهر السابع، إذ يحدث تغيير كبير في نظام التدريس بشهر شعبان استعداداً لدخول شهر رمضان المبارك.

وقد خصصت الدروس الصباحية عقب صلاة الفجر مباشرة لدراسة الفقه الإسلامي حسب المذاهب الإسلامية الأربعة التي ينتمي إليها الطلاب والمدرسون (الشافعي، الحنبلي، المالكي، الحنفي).

كما شهدت الحركة العلمية في مكة المكرمة دوراً هاماً وبارزاً للعالمات من النساء، حيث أفرد التقي محمد بن أحمد الفاسي (775 - 832) لهن باباً مخصصاً في كتابه «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» ترجم فيه لمئتين وخمسين عالمة مكية ومجازة، منهن من عملن بالإفتاء ومنهن من عملن بالتدريس وأسهمن في الحياة الثقافية والاجتماعية بوقف المدارس والأربطة ودور الأيتام وإنشاء الكتاتيب وإعداد المصنفات والإجازة للعلماء.

وقد زاد عمر بن فهد الهاشمي المكي (812 - 882) على سلفه حين ضم كتابه «الرد المكين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» ترجمة لمئتين وست وثمانين من أعلام النساء،

فيما ترجم العلامة محمد بن عبدالله بن حميد النجدي المكي، مفتي الحنابلة في مكة (1236 – 1295) في كتابه «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» لسبع وثلاثين من أعلام النساء وبعضهن ممن عاصرهن مثل الشيخة فاطمة بنت حمد الفضيلي الزبيرية، وكانت تجيز للنساء ممن جاورن مكة، وكانت تسكن بدار في باب الزيادة، وكان بعض العلماء في مكة يترددون عليها ويسمعون منها، وكانت خطاطة بارعة كتبت العديد من الكتب وجمعتها في دارها ووقفتها على طلاب العلم، وهذا يؤكد أن دور النساء في العلم ونشره في مكة المكرمة كان ناصعاً ومشرفاً وعظيماً وغير متخلف عن أمثالهن من العلماء الأفاضل في تلك الفترة.

وهناك دراسة للباحث السعودي الأستاذ الدكتور عباس طاشكندي نشرها في موسوعة مكة والمدينة المنورة رصد خلالها أسماء وتاريخ مئات العالمات السعوديات اللاتي درّسن في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأسهمن بدور كبير في تحقيق التواصل في علم الحديث الشريف، وبرزن في علوم التفسير والفقه وغيرهما من العلوم، وبعض هؤلاء العالمات كن أعلاما وحجة وثقة في علوم السند، وأجزن أعلاما من العلماء وشاركن الرجال في حمل ألقاب التشريف العلمية، فكانت منهن الواعظة والعالمة والفقيهة والمحدثة والمسندة والفاضلة والشيخة والحجة والثبت وغير ذلك من ألقاب التشريف العلمية.

ومن تلك العالمات فاطمة بنت أحمد العمري الحرازي (710 – 783هـ) التي عرفت بمحدثة الحرمين ومسندة مكة، لأنها تولت التدريس في الحرم الشريف وكذلك في المدينة المنورة حين جاورت بالمقام النبوي الشريف، ونال منها الإجازة كثيرون, إضافة إلى فاطمة بنت إبراهيم البطايحي المتوفاة سنة 711هـ وأخذ عنها بالإجازة والسماع أبرز علماء عصرها، وكريمة المروزية المتوفاة سنة 463هـ وهي المحدثة المعتمدة لصحيح البخاري في عصرها، وصفية بنت إبراهيم المكية التي توفيت عام 743هـ, إضافة إلى الطبريات اللواتي يزيد عددهن على العشر وأشهرهن قريش التي اعتبرت إحدى أهم خمسة مسانيد بالحرمين حين عدد الشيخ صالح الظاهري أهم المسانيد.

ويذكر الباحث أن الإمام السيوطي (911هـ / 1505م) كان من شيوخه سبع من العالمات الحجازيات، وأن العالمة المكية والمدنية اهتمت بالتواصل مع العلماء ومجالسهم أينما كانت، فلم يكن منعزلات متقوقعات، بل كانت لبعضهن صولات وجولات في مراكز العلم التي سادت عصورهن، ما يشير إلى المكانة العلمية النوعية لهن في ممارسة الدور العلمي التنويري الذي كانت عليه المرأة المكية والمدنية في مختلف العصور.

وفي هذا الجو العلمي المفعم بالصلاح، وبالتفتح، وبالمساواة بين الرجل والمرأة، وبالمعيارية العلمية في اختيار العلماء والمدرسين والمدرسات ظهرت بواكير التعليم العام، فأنشئت حول المسجد الحرام عدة مدارس في الربع الأخير من القرن السادس الهجري، ومن أبرزها مدارس الانجيلي، وطاب الزمان، والأرسوفي، وقد بلغ عددها قرابة 30 مدرسة مع نهاية

القرن الحادي عشر، وقد كان لإنشاء المدرسة الصولتية دور أساسي في تطور التعليم في مكة المكرمة، وهي المدرسة التي أنشأتها السيدة صولت النساء بيغم سنة 1289هـ عندما قدمت من كلكتا بالهند. وكانت قد ترمّلت وحصلت من تركة زوجها على ميراث جيّد، فعزمت على الإنفاق من ذلك الميراث على أداء فريضة الحج وإنشاء رباط (سكن خيري) في مكة المكرمة توقفه على سكنى حجاج بيت الله الحرام. وكان زوج ابنتها من بين طلبة الشيخ محمد رحمت الله (مؤسس المدرسة)، فتمكنت بواسطته من الاتّصال بالشيخ لاستشارته فيما عزمت عليه. ولكن الشّيخ تمكّن من صرفها عمّا عزمت عليه، وأشار بأن يكون وقفها مدرسة بدلا من الرباط؛ نظرا لحاجة أبناء مكة إلى مدرسة، فانشرح صدرها لذلك، وعادت صولت النّساء إلى بلادها بعد أن قضت نسكها وفوضت الشيخ للقيام بالمهمّة.

اشترى الشيخ رحمت الله أرضا وبوشر في البناء عليها بعد أن وضع بيده حجر الأساس لأول مدرسة نظامية في الجزيرة العربيّة بجوار البيت العتيق صباح يوم الأربعاء 15 شعبان سنة 1290هـ.

في الرابع عشر من محرم سنة 1291هـ افتتحت المدرسة وانتقل إليها الطلاب والمدرسون في احتفال مهيب حضره علماء مكة وأعيانها، وسمّاها المدرسة الصولتية تكريما للمحسنة الفاضلة.

وكان للصولتيّة أثر كبير على الحركة العلمية؛ فما إن تخرج الفوج الأول من طلابها حتى زادت حلقات العلم في المسجد الحرام، كما زاد عدد القراء والعلماء الذين تخرجوا فيها ورجعوا إلى أوطانهم يؤسسون المدارس الدينية ودور القرآن الكريم في إندونيسيا والهند وماليزيا وأماكن أخرى من العالم الإسلامي، ويبلغ عدد الذين تخرّجوا فيها بالآلاف منذ تأسيسها قبل مئة وخمس وثلاثين سنة. فقد غدت مفخرة من المفاخر، حتى إنّ الملك عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- قال عنها: إن الصولتية هي أزهر بلادي، وذلك عندما زارها وتفقد فصولها وأقسامها وبناياتها وأثنى على القائمين عليها، وكان ذلك في 28 جمادى الآخرة سنة 1344هـ.

أما في عهد الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- فقد أنشئت مديرية المعارف العامة في 1344/9/1هـ وتولت رعاية التعليم في المدارس القائمة وعملت على إنشاء مدارس جديدة.

وفي العصر الحديث كانت مدارس الفلاح هي أول ما أنشئ عام 1323هـ، وقد درست بها، تلتها مدرسة قلعة جبل هندي الواقعة على إحدى قمم جبال قعيقعان المعروف باسم جبل هندي المطل على المسجد الحرام من الناحية الغربية، وذلك عام 1335هـ، ثم تحولت بعد ذلك إلى قاعدة عسكرية ومن بعد أصبحت مركزاً للإذاعة ومدرسة تحضير البعثات ومعهداً لإعداد المعلمين، وفي عام 1369هـ أنشئت في أحد أجزاء القلعة كلية الشريعة



المدرسة الصولتية بمكة المكرمة كان لها أثرها على الحركة العلمية

والدراسات الإسلامية التي كانت نواة للتعليم الجامعي المنتظم في منطقة مكة المكرمة، وتحولت بعد ذلك إلى جامعة أم القرى المعروفة.

ومن الواضح أن الحركة العلمية والتعليمية التي انطلقت من مكة المكرمة على هذه الأسس المتينة قد ساهمت في تنشئة أجيال متعاقبة، وخرَّجت العديد من العلماء والمفكرين وكبار رجال الدولة المعروفين ممن درس فيها، وتم ابتعاث مجموعة منهم في بعثات خارجية مبكرة إلى مصر، وكذلك إلى دول أخرى وفي مقدمتها أمريكا وبريطانيا وألمانيا.

عند انتهاء دراستي بمدارس الفلاحِ بمكة عام 1379هـ، حاولت أن ألتحق ببعثة دراسية إلى مصر، غير أنني لم أوفق، فيما أُتيحت الفرصة لزملاء آخرين للالتحاق بكليات وتخصصات عدة، ومن أطرف المواقف التي رويت لي من بعض الأصدقاء والزملاء الذين ذهبوا إلى مصر في أول دفعة اتجهت لدراسة الطيران، ومنهم الأستاذ عبدالحميد مالكي، أنهم بعد إقامتهم الشهر الأول في القاهرة ذهبوا إلى إحدى دور السينما للمرة الأولى، وعندما وصلوا إليها فوجئوا بالمبنى الضخم، وعندما دخلوها وجدوا أرضيتها مفروشة بالبساط الأحمر، فخلعوا أحذيتهم في الخارج وأخذوا يسلمون على الناس الجالسين في الصالة واحداً واحداً وسط ذهول الجميع.



مربينا الفاضل إسحاق عقيل عزوز
رحمه الله



زملاء الفلاح من اليمين محمود خفاجي، محمد عبده يماني،
سالم مليباري، حسن باحكيم رحمه الله

أهل مكة والحج

شهدت مكة المكرمة الكثير من مظاهر العناية والاهتمام بضيوف الرحمن الذين يفدون إليها على مدار السنة معتمرين أو حاجين وذلك من مختلف ربوع الدنيا. وكنا نسعد بهم، ونعاملهم باحترام شديد، فيما كانوا ينظرون إلينا كأناس مباركين، يقدسون بلادنا، وينظرون إليها نظرة فيها الكثير من الإجلال والمهابة. وكان أبناء مكة بشيوخهم وشبابهم، نسائهم ورجالهم يجندون أنفسهم لخدمة هؤلاء الحجيج دون مقابل، إلا ما تجود به نفس الحاج أو المعتمر طواعية. فقد كان كل منا يعمل في خدمتهم بالطوافة والسقاية، هناك من يخدمون بتوفير الجمال كوسيلة من وسائل المواصلات، وهناك من يوفرون لهم خدمات الإسكان والتغذية وما في حكمها.

ومعروف أن أربعة بيوت شهيرة قد اختصت بسدانة بيت الله الحرام وهي: بيت الريس وهم سدنة ماء زمزم، وبيت الشيبي وهم سدنة الكعبة المشرفة، وبيت الباروم سدنة مقام السيدة خديجة بنت خويلد، وبيت الشلي وهم سدنة مولد ومنزل سيدنا حمزة رضي الله عنه.

وكان آباؤنا يعلموننا كيف نعامل الحجاج باحترام شديد، وكيف نرشدهم بأدب تام إلى ما يريدون، ونقدم لهم كل ما يحتاجون إليه، ونجيب على أسئلتهم ونساعدهم على قضاء حوائجهم ونحن سعداء بذلك. كما كانت المدارس تعطل في أيام الحج ليتفرغ الجميع لخدمة ضيوف الرحمن.

وكان الحج بالنسبة لسكان مكة هو المصدر الرئيسي للدخل، وكنا نؤجر بيوتنا ونفتحها لهم طوال الموسم قبل أن تكون هناك فنادق تستوعبهم وتوفر لهم الإيواء المطلوب والخدمة المريحة. فيما كان الحاج يسأل أول ما يسأل عن العالم أو الفقيه الذي يساعده على أداء الفريضة على أكمل وجه، حتى قبل أن يبحث عن السكن أو يهتم بالراحة أو الطعام.

حدث هذا بعد أن توقف الحجيج عن اصطحاب علماء معهم من بلدانهم. ويتذكر أهل مكة قصة وفد الحجيج الذي رافقه أحد علماء بلاده وأخذ يطوف بهم حول الكعبة بصورة معاكسة، حتى اضطر أحد أهل مكة من الطائفين إلى لفت نظرهم إلى ضرورة أن تكون الكعبة على يسار الطائف وليس العكس، ومن بعد اقتنع الحجيج بضرورة أن يكون معهم مرشدهم من أبناء مكة المكرمة وعلمائها، وفي ظل هذا الفهم بدأ دور المطوفين يبرز ويتأصل وأخذ الحجاج يلجؤون إلى علماء الحرم وإلى المشايخ الذين يلقون دروساً فيه لتعلم أصول الدين والاستفسار عن بعض أمور العبادة وأداء الأركان والواجبات والسنن.

كل ذلك يقدم للحاج مجاناً، وبسعادة بالغة، على عكس ما كان يؤخذ منهم في الماضي من رسوم وإتاوات، حيث صدرت في عام 1326هـ تعرفة للحجاج نقتطف منها ما يأتي:

1	جنيه عثماني	أجرة مسكن بمكة للحجاج الجاويين
2	جنيه عثماني	إكرامية مطوف وضيافة في عرفة ومنى ومن توفي قبل الوقوف عليه نصف المقرر.
10	جنيه هندي	إكرامية المطوف لعموم أجناس الهند
2	جنيه عثماني	إكرامية مطوف للحاج الداغستاني لأجرة خيمة في عرفة ومنى وبيت مكة
5	ريال مجيدي	لأهل الصعيد وغزة والعراق وأولاد علي والأكراد وعلى كل حاج عدا ما ذكر أن يدفع لمطوفه إكرامية

ومنذ تولي الملك عبدالعزيز الحكم دخل الحج في مرحلة من التنظيم غير مسبوقة سواء في استقبالهم أو إقامتهم ووفادتهم أو من حيث تيسير أمور أدائهم لشعائرهم، وكان أهل مكة يقومون بالعديد من هذه المهام وعُرفت بذلك عوائل كثيرة وشهيرة حتى اليوم، وإن كان تزايد عدد الحجاج بصورة كبيرة قد فرض أنواعاً أخرى من التنظيم، حيث صدر نظام مؤسسات الطوافة عام 1398هـ، وأصبح لكل مؤسسة من تخدمهم من الجنسيات وانخرط الكثير من أصحاب الصنعة في هذه المؤسسات، فيما ظل آخرون خارجها وإن لم يبتعدوا عن هذه المهنة كثيراً.

وكما قلت قبل ذلك، فقد كانت أسعد فترات حياتي هي التي كنت أقضيها في المسجد الحرام وأقوم بمهمة الطوافة للحجاج رغم صغر سني، كما أخدمهم بعد ذلك خارج نطاق المسجد، شأني في ذلك شأن أبناء مكة الذين جبلوا على خدمة الحجاج وما زالوا، وكان أبرز ما يسعدنا ويمتعنا ويشد انتباهنا ويأسرنا هو صوت أئمة المسجد الحرام وخطباء الجمعة لما كانوا يتمتعون به من علم وقوة تأثير وجمال صوت، وقدرة آسرة لمشاعر الناس ودفعهم إلى البكاء والخشوع والتبتل.

وكان هؤلاء الأئمة الأفاضل جزء من هوية مكة المكرمة، وثقافة سكانها، وارتباط الناس بهم حسياً، كما كانوا محل اهتمام الحجاج وحرصهم على الالتقاء بهم والجلوس معهم والاستفادة من علمهم، وكان الملك عبدالعزيز -يرحمه الله- قد جعل الأئمة في الحرم يصلون صلاة واحدة، ورأى أن نأخذ بالمذهب الحنبلي الوسطي واستمر الحال كذلك حتى

اليوم.
كما كان من أبرز ما فعله هو تأمين طرق الحج، وتوفير السلامة للحجاج أثناء انتقالهم بين المشاعر بعد أن كانوا يتعرضون للكثير من العناء والمشقة والمخاطر.
وكان معظم الحجاج يفضلون السير على الأقدام، وبعضهم يستخدم الجمال، وكان النساء يستخدمن «الشقدف»، فيما كان الرجال يقودون ركوبتهم ويسيرون في طريقهم إلى عرفات ومزدلفة ومنى وإلى مكة المكرمة والعكس بالعكس.
وعندما توسعت الدولة في استخدام السيارات وبدأت توظف في خدمة الحجيج وفي صعودهم وحركتهم بين المشاعر الحرام، كنا نرى الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وكان آنذاك نائب الملك في الحجاز، يقوم بنفسه بالوقوف في نقاط المرور ويشرف على تنظيم حركة سير الحجيج وتصعيدهم كتعبير عن اهتمام الدولة الفائق بضيوف الرحمن، وتقرباً من الله سبحانه وتعالى وكسب الأجر.
وعلى جانب آخر فقد كانت الحركة الاقتصادية تنشط كثيراً في مواسم الحج ويحدث انتعاش كبير في الإسكان، وفي حركة البيع والشراء وفي النقل حتى كانت أسواق مكة ومنى تبدو وكأنها مهرجان لأكبر سوق تجاري في العالم لشراء الاحتياجات والفوز بأجمل الهدايا والعودة بها إلى الأوطان، فإذا انقضى الحج وبدأت الحركة الاقتصادية في الركود أخذ أهل الدكاكين والبسطات يرددون أناشيد تدل على عدم رضاهم عن ضعف السوق والركود:

يا رب سهِّل علينا　　لأجل النبي سهِّل علينا
يا رب وارزق ويسر　　يا رب سهل ولا تعسر

وكان الحاكم في الماضي يؤخر الحجاج من السفر والعودة إلى بلادهم، فإذا تحسنت أوضاع الأسواق وسمع نشيد الباعة وأصواتهم تردد:

بلادك يا غريب بلادك　　حسن المشورة لا تبات الليلة

أذن للحجاج بالسفر تعبيراً عن ارتياح الناس وتحسن أحوالهم وعظم مردودهم من الموسم.

الحرمان من البعثة لمصر

تلك هي مكة المكرمة، البلد الحرام، بلد المعرفة، والتاريخ، والنور الذي عشت فيه حياتي الأولى، ورغم جمال تلك الفترة، وروعة ذكرياتها، إلا أن طموحات الإنسان الكبيرة كانت أبلغ من قدرته على ترجمتها إلى واقع، لكنها حين لا تتحقق تتحول إلى صدمة، فعندما أنهيت الثانوية العامة عام 1379هـ/1959 م، وتقدمت أنا وزميلي سالم مليباري بطلب الحصول على بعثة إلى مصر كبقية الزملاء الخريجين في تلك الفترة، وعددهم لا يتجاوز أصابع اليدين، عندها قيل لي وزميلي المليباري إنكما غير مقبولين لأن اسميكما يوحيان بأنكما لستما مواطنين سعوديين رغم ارتفاع معدلنا، وحاولنا بكل ما نستطع لإثبات حقنا وهويتنا، لكننا أدركنا أن الواسطة قد وضعت طالبين آخرين في مكاننا ورُفض طلبنا وحرمنا حقنا في الابتعاث رغم كل ما لدينا من إثباتات، وهكذا ضاعت علينا الفرصة وأغلقت الأبواب في وجهنا نهائياً.

وعندما حاولنا مرة أخرى لإثبات أن اسمي اليماني والمليباري لا يعنيان أننا غير سعوديين كانت البعثة قد سافرت إلى مصر وأُغلق الباب في وجهنا نهائياً.

وكان ذلك يجسد أيضاً مدى تواضع الإمكانات المتاحة للتحقق من صحة الأسماء



مع عدنان سمباوة ومحمود خفاجي في إحدى رحلات الفلاح المدرسية



جامعة الملك سعود قديما كانت تتكون من مبان بسيطة لمدرسة في حي الملز

ومواطنية الإنسان، كما يدل على عشوائية الإجراءات القائمة على الحدس والانطباع وإصدار الأحكام السطحية في تلك الفترة، وطبعاً لعبت العلاقات الخاصة والوساطات الشخصية دورها في حرماني والمليباري من البعثة لمصر.

وشعرت أنا وسالم مليباري أن جميع الأبواب قد أقفلت في وجوهنا، فقد كانت البعثة -آنذاك- حلم أي شاب طموح، وغبطنا زملاءنا الذين أتيح لهم السفر إلى مصر أو لبنان أو بريطانيا. وكانت منهم أول بعثة ذهبت للالتحاق بكلية الطيران بالقاهرة، لكننا قررنا أنا وسالم أن نتجه إلى الرياض وأن نلتحق بجامعة الملك سعود.

وكان قرار توجهنا إلى الرياض بعد ترددنا من السفر على حسابنا رغم موقف الوالد رحمه الله ووالدة ووالد الأخ سالم اللذين كانا يملكان وقفاً في السوق الصغير، وحرصا على أن يُدبرا المبلغ لتمكيننا من السفر للدراسة في الخارج على حسابهم، لكننا خشينا إذا ما فشلنا لا قدر الله أن تضيع الفرصة علينا وأن نضيع الأسرة، فالوالد كان سيبيع المنزل ووالد الدكتور سالم سيرهن وقف والدته، وهكذا كنا سندخل الأسرة في مشكلة كبيرة في حالة فشلنا لا قدر الله، ولهذا قررنا أن نتجه إلى جامعة الملك سعود بالرياض على طريقة مرغم أخوك لا بطل.

وكانت أول صعوبة تواجهني كصبي في مقتبل العمر يزور الرياض للمرة الأولى هو مكان الإقامة وكلفتها. وبعد عناء وجدت سكناً متواضعاً في «حلة العبيد» عانيت منه كثيراً.

دراستي في جامعة الملك سعود



عند تقديمنا للجامعة خشينا أن نجد صعوبة في القبول ولكن سكرتير الكلية بشرنا بأنه لا

عندما اتجهت إلى الجامعة للمرة الأولى فوجئت بأنها مجرد مبانٍ بسيطة لمدرسة تقع في حي الملز تم تخصيصها لهذا الغرض ووضعت عليها لوحة باسم "جامعة الملك سعود".
وقدر لي أن ألتقي ببعض الزملاء المتقدمين للالتحاق بكلية العلوم التي كانت قد أحدثت للتو بالإضافة إلى كليتين أخريين هما: كلية الصيدلة وكلية التجارة، بعد أن كانت الجامعة في الأساس قائمة على كلية واحدة هي كلية الآداب. وكان مدير الجامعة آنذاك هو الأستاذ عبدالوهاب عزام -رحمه الله- الذي أصبح بعد ذلك أول أمين عام للجامعة العربية، فيما كان عميد كلية العلوم هو الدكتور مختار صبري. وكنت وزملائي الستة المتقدمين للكلية نرتجف من الخوف ونحن نقف أمام سكرتير الكلية الأستاذ عبدالرحمن عبدالكريم لنعبر له عن رغبتنا في الالتحاق بها وأولويتنا في الحصول على مقاعد، فقد كنا نخشى أن يرفض طلبنا أو أن تواجهنا صعوبات في القبول ليست على البال، لكننا فوجئنا بوجه الرجل يتهلل بشراً، ولم نصدق أنفسنا ونحن نستمع إليه وهو يقول "أهلاً وسهلاً بكم، فليس هناك من تقدم للدراسة بالكلية في هذا الفرع سواكم.. أبشروا"، وكانت لحظة من أسعد لحظات العمر التي لا يمكن أن تنسى.



كنا ندرس في الجامعة بملابس بسيطة ولكن أساتذتنا كانوا يقدرون ظروفنا والبدايات الصعبة التي كنا نمر بها

وبدأنا الدراسة بالجامعة وسط إمكانات متواضعة للغاية، وإن كان من تصدوا لهذه المهمة هم من فطاحل العلماء والمتخصصين، لعلي أتذكر منهم الآن كلاً من الأستاذ الدكتور مصطفى السقا، والأستاذ الدكتور أحمد الحوفي، والأستاذ الدكتور إبراهيم فرج، والأستاذ الدكتور عبدالرحمن قدري.

فقد كان الواحد منهم يقف في مدرجات جامعة القاهرة أمام 500 طالب ليجد نفسه هنا أمام 6 طلاب لا سابع لهم، بل إن أستاذاً كالشيخ مصطفى السقا كان يدرس طالباً واحداً في حديقة الجامعة هو الطالب آنذاك الشريف محمد التبر، وكان تخصصه لغة عربية: قواعد النحو والصرف.

كما أن عملية التدريس كانت تتم بسلاسة وفي ظل ظروف متناهية البساطة، حتى إن بعضنا كان يحضر إلى الفصل بملابس النوم، وهو يرتدي الفوطة أو البيجامة دون أن يعترض الأساتذة على ذلك لمعرفتهم بمستويات حياة معظم الطلاب المتواضعة وطبيعة البدايات الصعبة.

والأكثر طرافة من هذا أن الأستاذ كان يتوقف عن المحاضرة بعد بدئها بساعة من الزمن ليأذن لطلابه بالذهاب وتناول طعام الإفطار، ويبقى منتظراً عودتهم كي يستأنف محاضرته بعد ذلك.

ولم تكن كلية العلوم في تلك الفترة تمتلك جهاز ميكروسكوب، فقد كانت تستعيره

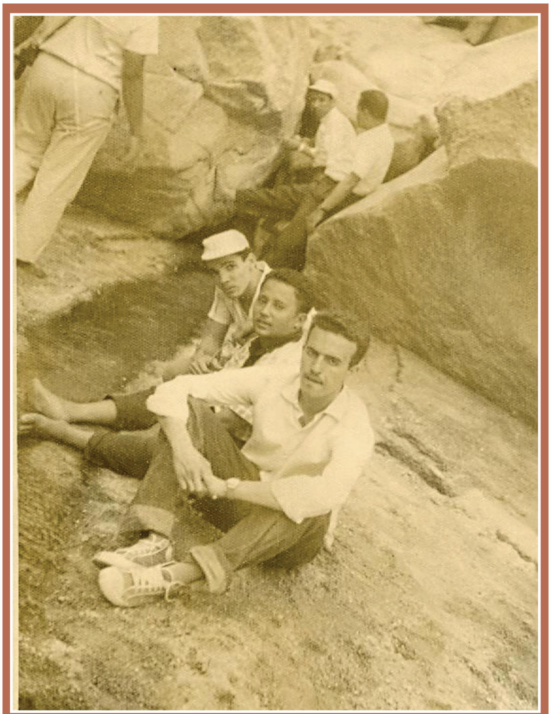
من الكلية الحربية كي نتدرب عليه مرة كل أسبوع، حيث يحضره لنا جندي يقوم على حراسته ويتولى إعادته للكلية الحربية، وهذه الإعارة للميكروسكوب تمت بناءً على تعاون بين عميد الكلية الدكتور رضا عبيد وبين اللواء علي الشاعر الذي كان رئيساً للكلية الحربية آنذاك ومقرها في شارع المطار.

وعندما تحسنت الأحوال المادية للكلية اشترت ميكروسكوباً إلكترونياً، وكان ضيوف الديوان الملكي وضيوف الوزارات الأخرى يأتون إلينا لزيارة هذا الميكروسكوب العجيب!

لكننا رغم كل هذا كنا نشعر بفائدة عظيمة ونحن نتلقى علومنا على يد علماء أجلاء، أذكر منهم الدكتور إبراهيم فرج، والدكتور عبدالرحمن مدورة، والدكتور زغلول النجار.

وكنا نقوم بزيارات ميدانية، ونستمتع بدراسة الصخور في كل من جبال الحجاز ونجد وحائل وأبها والربع الخالي، ونتنافس بقوة على كسب رضا أساتذتنا الأجلاء.

وإذ كان عدد طلاب كليتنا لم يزد على ستة طلاب، فإن عدد طلاب الجامعة لم يتجاوز في ذلك الحين 130 طالباً.



مع عبدالله نصيف وناجي ناظر في إحدى الرحلات الجامعية

وقد تعاقب على إدارة الجامعة بعد الدكتور عبدالوهاب عزام كل من معالي الشيخ ناصر المنقور -رحمه الله- الذي تولى مهام رئيسية بمجلس الوزراء ثم سفيراً في أكثر من دولة أوربية، ومعالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر الذي أصبح بعد ذلك وزيراً للمعارف ثم عضوا في مجلس الوزراء، ومن تبعهم بعد ذلك. كما درس فيها العديد من الشخصيات المرموقة، مثل معالي الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع رحمه الله، ومعالي الأستاذ عمر فقيه ومعالي الأستاذ فيصل الشهيل، ومعالي الأستاذ أحمد زكي يماني ومعالي الأستاذ هشام ناظر ومعالي الشيخ حسن المشاري وآخرين.

وإذا كان ما أتذكره الآن عن تلك الفترة الجميلة من حياتي داخل كلية العلوم، فهو ذلك الاحتفال الوداعي المؤثر لمدير جامعتنا الشيخ ناصر المنقور، وكنا ننتظر في المدرج أن يصعد أحد ليتحدث عن هذه المناسبة، وعندما لم يفعل أحد ذلك قمت وألقيت كلمة وداعية باسم زملائي الطلاب، فما كان من أستاذي مصطفى السقا إلا أن صعد إلى المدرج وراح يقول: كنت أعد نفسي للحديث فإذا بهذا الطالب "الملقوف" ينهض كالشيطان أمامكم لينهب أفكاري.

كما أنه لا يمكن أن أنسى حادثة استدعاء رئيس الاستخبارات العامة اللواء سعيد أمين لي في مركز الاستخبارات واستجوابي لأنني وقفت فوق برميل في أعلى سطوح الجامعة وعبرت عن احتجاجي وزملائي على تخفيض رواتبنا، وكان مكتبه يقع أمام الكلية الحربية في الشارع الخلفي، ولم ينقذني من هذا الموقف الصعب إلا الاعتراف بالخطأ والاعتذار والتوبة عنه وروح الرجل الطيبة وعطفه وتفهمه.



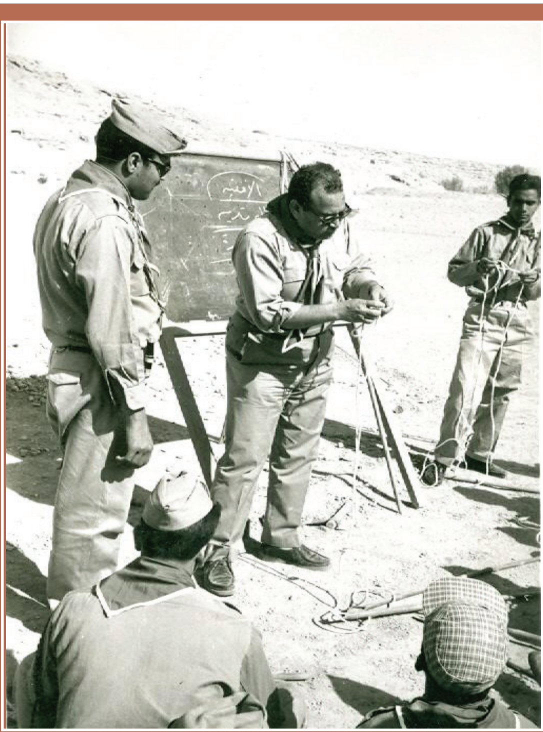
اهتماماتي الثقافية لازمتني في الجامعة وجعلتني أظفر بالدرع التقديري لنشاطاتها

لكن هذه الواقعة لم تنسني بعض المواقف الطريفة التي كنا نعيشها، فقد كنا نتناول وجباتنا في السكن الداخلي في مرحلة من مراحل دراستنا، لكنني وستة من الزملاء، قررنا ذات ليلة أن نتناول عشاءنا خارج الجامعة، واتجهنا إلى شارع الملز ووجدنا مطعماً اسمه "السندباد" ودخلناه وبدأنا في طلب الطعام، وكنا نعتقد أن الأسعار كما عهدناها في مكة المكرمة تتراوح قيمة الوجبة لكل منا ما بين 8-10 ريالات. وبعد أن شبعنا وبدأنا نتأهب للخروج طلبنا الفاتورة وفوجئنا بأن على كل منا أن يدفع 50 ريالاً وليس 10 ريالات للوجبة، وأسقط في أيدينا، وأخذنا ننظر إلى بعضنا لأننا لا نملك من قيمة الفاتورة سوى 150 ريالاً وتبقى علينا 156 ريالاً، وحاولنا أن نشرح لمدير المطعم أوضاعنا وعدم توقعنا لهذه التكلفة وغربتنا عن الرياض، إلا أنه هددنا بطلب الشرطة، وتوسلنا إليه أن يطلق سراحنا لكنه أصر على أن ندفع الفاتورة، وما كان أمامنا إلا أن خلعنا ساعاتنا اليدوية وجعلناها أمانة عنده إلى اليوم التالي، بحيث نتمكن من تدبير المبلغ، فوافق على مضض لأن قيمة ساعاتنا الست لا تغطي ما تبقى له علينا في الفاتورة، ومنذ ذلك اليوم لم نكرر المغامرة حتى غادرنا الرياض إلى الخارج، وأذكر ممن كان معي من الزملاء في ذلك المطعم الأخ الأستاذ عبدالعزيز جمجوم والأخ سعود الحجيلان.



مع صالح كامل وعبدالله نصيف في جامعة الملك سعود

وهكذا مضت حياتي في الكلية أدرس وأنحت صخور الجبال كما نحتُّ من قبل صخور الحياة وشظف العيش وبساطة أنماط الحياة التي قضيتها من قبل في مكة المكرمة، ومن ثم في الرياض، لأحصل على درجة البكالوريوس من الكلية عام 1383هـ/1963م في الجيولوجيا، وعملت بعدها معيداً بالكلية لمدة عام واحد ابتعثت بعده إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الماجستير، وحصلت على درجة الماجستير عام 1386هـ/1966م في الجيولوجيا الاقتصادية، كما حصلت على درجة الدكتوراه بعد ذلك من جامعة كورنيل عام 1388هـ/1968م في الجيولوجيا تخصص اقتصاديات المعادن، وكانت رسالتي عن "الثروات المعدنية في المملكة العربية السعودية"، وفي نفس العام حصلت أيضاً على دبلوم عالٍ في إدارة الجامعات من جامعة ميتّشيجن، بتوجيه من المشرف على رسالة الدكتوراه بجامعة كورنيل، وهو ما لم أدرك أهميته في تلك الفترة، وإنما أدركته بعد أن عدت إلى المملكة وتقلدت بعض المناصب ومنها منصب مدير جامعة الملك عبدالعزيز ووزارة الإعلام، وعندما قدر لي أن ألتقي بهذا الأستاذ في إحدى رحلاتي الخاصة إلى أمريكا بعد تقلدي منصب إدارة الجامعة، سألته عن سبب اختياره لي لتلقي ذلك الدبلوم، فابتسم الرجل وقال لي: لقد أدركت أن لديك شخصية قيادية ومحبة للتنظيم بين بقية زملائك، فنصحتك بتلك الدورة، فعجبت كيف يدرك النابهون من الرجال قدرات من حولهم، وكيف يكتشفون جوانب التميز فيهم، ويحسنون توجيههم إليها.



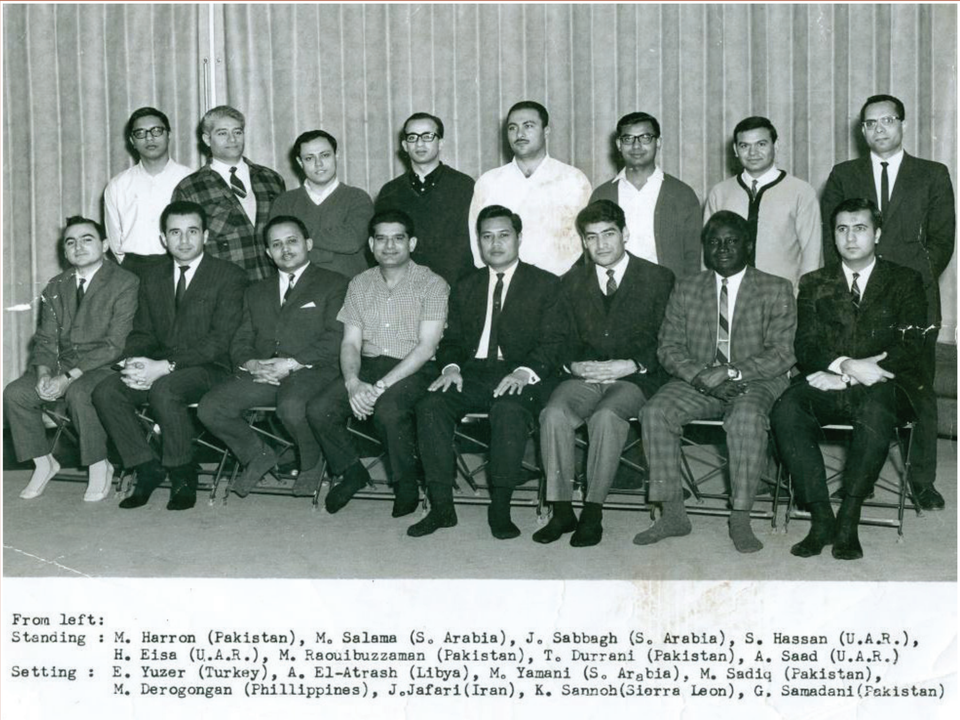
صالح كامل وعبدالله نصيف كانا يعشقان العمل



مع زملاء فرقة الكشافة بجامعة الملك سعود

ويمكن اعتبار هذه الفترة من أخصب فترات حياتي كشاب بدأ يكتشف نفسه رويداً رويداً. فالحياة في الرياض في تلك الفترة كانت بسيطة، والسفر من مكة إلى خارجها كان في عداد الأحلام، والتعرف على أجواء جديدة هو نوع من المغامرة والاستكشاف لعوالم جديدة لم يخفف من وطأتها إلا زمالة إخواني وأصدقائي وزملائي الذين عشت معهم في إطار الأسرة الواحدة، لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة وشاملة من الغربة الحقيقية خارج حدود الوطن.

رحلتي العلمية إلى أمريكا



مع زملاء الدراسة بجامعة كورنيل والزميل جعفر صبا غ الثالث من يسار الواقفين

تجدد الطموح لدي وأنا أتجه إلى أمريكا بادئاً مرحلة جديدة من الكفاح محفوفة بشعور مضنٍ وصعب بغربة شديدة ، فهذه هي المرحلة الأولى في حياتي التي أغادر فيها بلدي وأبتعد عن أهلي وأحبتي وأصدقائي.

وبعد معاناة طويلة مع اللغة، وكذلك مع صعوبة الاندماج في الحياة الاجتماعية والانشغال بالدراسة أصبحت أمريكا بالنسبة لي مصدر جذب وراحة.

وقد ساعدني على التغلب على شعوري بالوحشة في السنة الأولى، أن الأسر الأمريكية كانت ترحب بالغرباء من أمثالنا وتوفر لهم المأوى وبيئة التعليم الصحيحة، ويسألون عنا ويأخذوننا معهم إلى أعيادهم ومناسباتهم الخاصة، مما أشعرنا بالألفة رويداً رويداً. فقد خففوا عنا وطأة الغربة وجعلونا نحب أمريكا لأننا رأينا الشعب الأمريكي على حقيقته، شعباً حضارياً ومتفتحاً وودوداً. فمن أراد أن يعرف أمريكا على حقيقتها فليعش فيها ولا يحاول أن يعرفها من خلال السياسة التي أفسدتها وشوهت صورتها الجميلة. فلقد كان أساتذتنا يحنون علينا ويسألون عنا ويحاولون تطوير مستوياتنا في اللغة الإنجليزية

التي كانت تمثل بالنسبة لنا عقدة العقد الأولى.

لكن حالة التكيف هذه لم تحصل إلا بعد مضي بضعة أشهر، وإلا فقد بلغ بي الشعور بالاكتئاب درجة لم أحتمل معها البقاء أكثر، وما كان مني إلا أن اتصلت بزميلي وصديقي أسامة عبدالرحمن، وكان يدرس في ولاية أخرى وقلت له «ترى أنا تعبان»، فرد علي قائلاً «ترى أنا أتعب منك»، وكعادته في أخذ الأمور ببرود واصل قائلاً: سأرسل لك قصيدة لعلها تفك كربتك، فعجبت منه ومن رده، فقد شكوت له مرارة الفرقة، وبرودة الجو، وقسوة المطر الذي لا يتوقف، وعدم قدرتي على التكيف مع هذا الوضع مع صعوبة الإلمام باللغة بالسرعة الكافية، فلا يجد ما يخفف به كربتي سوى قصيدة هزلية.

لكنني ما إن قرأت هذه القصيدة حتى ارتحت كثيراً، وهانت عليّ معاناتي، وما أذكره من تلك القصيدة (الدعابة) قوله:

الفكر ماح والرجال قليل والنفس تسبح ... في محيط واسع أنى تميل بها الرياح تميــل
حاولت حل المعضلات فلم أجــد ... غير الرجوع فهل لديك بديـــل
حملتك جامعة الرياض مراتبا مــا بين ... ممتاز وجيد جدا هي في حقيقة أمرها مقبول



رغم حياتنا في نيويورك إلا أننا عشنا بقيمنا التي اعتدنا عليها

وصبرنا وصابرنا وتحملنا الكثير من أجواء التعب النفسي أملاً في العودة بما حلمنا به من تأهيل علمي يمكن لنا أن نُسهم به في خدمة الوطن وتنميته.

وقد ساعدنا على تحمل تبعات الغربة ووطأتها أن بدأ تدفق المبتعثين إلى أمريكا، وبدأنا نجتمع مع بعضنا بعضاً ويشد بعضنا أزر بعضنا الآخر.

وممن تعرفت عليهم في فترة دراسة الماجستير طالب كان يدرس في مرحلة البكالوريوس هو رجل الأعمال المعروف الآن محمد أحمد يوسف زينل.

ورغم وجودنا في مجتمع جديد، إلا أننا عشنا بقيمنا وطريقة تفكيرنا التي اعتدنا عليها في بلادنا. ولعلي أذكر هنا ذلك المشهد الذي وقع لي يوم وصولي أمريكا، فعندما استقللت الحافلة إلى مقر الجامعة في مدينة نيويورك، رأيت سيدة تحمل ثلاثة أطفال ولا تستطيع السيطرة عليهم، فقمت بمساعدتها في حمل اثنين منهم، وعندما غادرت الحافلة ساعدتها في حمل حقائبها، ولم أشعر أن هناك شخصاً كان يراقب تصرفاتي، وعندما وصلت إلى المدينة اقترب مني الرجل وقال لي: هل أنت غريب عن المنطقة؟!

وعندما أجبته بنعم أنا طالب مبتعث من المملكة العربية السعودية، قال لي: لقد أدركت ذلك من خلال مساعدتك للسيدة التي كانت معنا في الحافلة، نحن هنا لا نفعل ذلك، وصمت برهة ثم قال: لذلك قررت أن أساعدك في إيصالك إلى وجهتك إعجاباً بما رأيته منك، وفعلاً قام بإيصالي إلى الجامعة ودلني على السكن ومكان الطعام، وأحاطني بكل ما يحتاج إلى معرفته أي غريب يأتي إلى أمريكا للمرة الأولى.

كذلك ذات يوم صحوت والمطر ينهمر بشدة على مدينة نيويورك، فقمت بالاتصال بالجامعة لأتأكد من أنها مفتوحة، معتقدا أنهم لديهم نفس العادة لدينا في مكة عندما تسقط الأمطار الغزيرة، فإن معظم الطلبة لا يذهبون والمدارس تعطل، ولم يفهموا مني ما قصدته بالأمطار وإغلاق الجامعة، بالرغم من الجهد الذي بذلته لإيضاح ذلك، ولكن بمرور الأيام تبين لي أن سؤالي عن هذا الأمر كان من الأشياء المستغربة جدا، لأن الحياة عندهم والمصالح لا تعطل بسبب الأمطار مهما بلغت شدتها، فمدنهم مهيأة وشوارعهم مزودة بقنوات صرف لتصريف المياه بسرعة حتى لا تسبب الأمطار لهم أي عائق.

وعندما بدأت أتعرف على المدينة، كنت أتنقل بين شوارعها وأسواقها متحزماً بفلوسي في وسطي، لأنني كنت أخاف عليها ولا أعرف كيف أحتفظ بها على قلتها.

وكانت اللغة بالنسبة لي في البداية وكما قلت سابقاً مشكلة المشاكل، وبالذات في الحصول على الوجبات الخاصة، فقد التقطت أذني كلمة «هامبرجر»، وكنت أرددها في كل مكان أذهب إليه سواء محل طعام أو ملابس أو أدوات، وكان الباعة يستغربون ذلك مني، كما كنت أجد صعوبة في طلب وجبات أخرى، حيث كان الهامبرجر هو إفطاري وغدائي وعشائي، لأنني لا أعرف أسماء الأطعمة الأخرى باللغة الإنجليزية. كما أن موعد الإفطار في السكن الجامعي (الدورم) هو الثامنة صباحاً، فإذا تأخرت عن الموعد كان علي أن أذهب إلى مطعم آخر، وأنا لا أملك قيمة الطعام في حالة استمرار حصولي عليه من خارج السكن.

وقد مرت بي فترة سكنت فيها عند سيدة عجوز كانت تستضيف الطلاب بثمن ميسر، ولكنها كانت شديدة، وتجبرنا على المساهمة في نظافة المنزل، وغسل الأواني، والأكل في مواعيد محددة، ومن يتأخر لا يجد أي طعام، وعلى صرامتها وشدتها كنا نحس فيها بأمومة، وإن كانت أمومة قاسية، لكننا تعلمنا من خلالها ألوانا من مفاتيح الحياة داخل أمريكا، فهي مثلا رغم العلاقة التي بيننا وبينها عندما ننزل إلى المطبخ لتناول الطعام إذا كانت تتناول طعامها فلا تدعو أي أحد لمشاركتها، في وقت كنا نتعود في بلادنا أن نقول: تفضل، أو شاركنا، ولكن هذه طبيعة الحياة المادية التي كانوا يعيشونها، وتعلمنا كيف يعيشون وكيف يتعاملون.


قدمني المسلمون هناك وجعلوني أقوم بإمامتهم

لكن الهم الأكبر بالنسبة لي كان هو إعطاء كل وقتي للهدف الذي جئت من أجله إلى هذه الديار، ألا وهو إنجاز مرحلة الماجستير في الجيولوجيا الاقتصادية المحدد خلال 3 سنوات، بدءاً بالعام 1386هـ/1966م، وكذلك تمكنت من الحصول على درجة الدكتوراه في اقتصاديات المعادن عام 1388هـ/1968م.

وكما قلت في البداية، فإن أستاذي المشرف على رسالتي للدكتوراه لاحظ نشاطي في نوادي الطلاب، ووجود ميل حقيقي في داخلي نحو الإدارة والتنظيم لا تقل قوة عندي عن متعة الدراسة العلمية والأبحاث العلمية القائمة على المسوح الميدانية التي كنت أمارسها باستمتاع، وسمع عن نجاحي في انتخابات نادي الطلاب العرب المسلمين وعضويتي في حكومة الطلبة بالجامعة، لذلك اقترح عليّ أن أحصل على الدبلوم المذكور في إدارة الجامعات بجانب رسالتي للدكتوراه في الجيولوجيا.

عضو في حكومة الطلبة الأمريكان

ورغم استغراقي الشديد في الدراسة، إلا أنني كنت أجد في نفسي رغبة شديدة في أن أقوم بدور اجتماعي نشط، لا سيما وأنني -في نظر الكثير من زملاء الدراسة- إنسان قادم من بلاد الحرمين، وقدمني المسلمون هناك وجعلوني أقوم بإمامتهم في صلاة الجمعة والأعياد والتراويح في رمضان، وإجراء عقود الزواج لهم، ثم نصبوني بعد ذلك رئيساً للمجموعة الإسلامية العربية. وللمرة الأولى وقع علي الاختيار كعضو في حكومة الطلبة بالجامعة، وهذا المنصب أثار حساسية السفارة السعودية في أمريكا آنذاك، وكدت أعود بسبب هذا المنصب إلى بلدي، نظراً لسوء الفهم الذي حدث، وإلا فكيف لي كطالب سعودي ابتعثتني الدولة للدراسة فقط، أن أتجه للعمل السياسي وأصبح عضواً في الحكومة الأمريكية، فقد اتصلت بي السفارة وزارني السفير الأستاذ فؤاد الخطيب وناقشني في هذا الموضوع، وقد أوضحت له ماذا تعني «حكومة الطلبة»، وأنها ليست أكثر من رابطة تُعنى بخدمة الطلاب وحل مشكلاتهم الدراسية داخل الجامعة، ولا علاقة لها بالحكومة الأمريكية، ولا شأن لها بالسياسة أو أي شكل من أشكال التنظيم، وقد اقتنع بذلك، بل وبارك اختياري وتمنى لي التوفيق.

ومن ذكرياتي العطرة في تلك الفترة، أنني عندما استقبلت الأستاذ الخطيب ذات يوم وأهله في المطار، كانت معه إحدى بناته التي كانت في مراحلها الدراسية الأولى بالجامعة، وأعجبت بأخلاق هذه الأسرة الكريمة، كما لفتت نظري ابنته وفاء، فقد كانت على أدب ودين وخلق، وفكرت للتو في أن أزوجها لأخي الدكتور جعفر صباغ الذي كان يدرس معي للحصول على درجة الدكتوراه في كلية الهندسة بجامعة كورنيل، وقد كانت مفاجأة للأستاذ فؤاد الخطيب -رحمه الله- حين فاتحته بالأمر، ولكنه تشجع، وشجعته زوجته على ذلك.

في المساء دعوتهم على العشاء، وتحدثت مع الأخ جعفر صباغ الذي لم يكن قد حصل على الدكتوراه بعد، وشعر بحرج في أول الأمر، لكنه عندما رأى الفتاة وأسرتها فرح ووافق، وبعد شهر سافرنا إلى واشنطن لعقد النكاح في السفارة على يد السفير الشيخ إبراهيم السويل رحمه الله، وأقمنا حفلا مبسطا وغادرنا أنا وزوجتي أم ياسر عائدين إلى إتيكا بنيويورك، وتركنا الأستاذ جعفر مع زوجته وفاء، وقد أكرمهم الله بعد ذلك بالبنين والبنات، وهم يعيشون حياة سعيدة، لأن الفتاة من أسرة كريمة، والدكتور جعفر من أسرة مكية كريمة أيضا، ووالده معلم أجيال، ووالدته من الأسر المحترمة في مكة المكرمة ذات السمعة



حرم جامعة كورنيل في نيويورك

العطرة، واليوم ألقى أولادهما وقد حملوا الشهادات العليا، وأفرح لأنني أنا الذي زوجت صديقي الدكتور جعفر، وهي عادة تعودت عليها، فقد زوجت عدداً آخر من أصدقائي بنفس هذه الطريقة.

وبعد حصولي على درجة الدكتوراه عدت إلى الرياض، وعينت أستاذاً مساعداً، ومن ثم أستاذاً مشاركاً، فأستاذاً، وعملت وكيلاً لكلية العلوم، وكانت فترة عملي بالجامعة فترة حافلة بالأبحاث العلمية وبالاتصال بالطلاب، لاسيما وأن الجامعة كانت قد تطورت كثيراً، سواء من حيث المباني والتجهيزات، أو من حيث أعداد الطلاب، وأعضاء هيئة التدريس، أو من حيث عدد الكليات المتخصصة كالطب والزراعة، في الوقت الذي بدأ المبتعثون في العودة إلى الجامعة والتدريس بها، وتغيرت الكثير من المناهج وأساليب البحث العلمي، وأصبح هناك نوع من الامتزاج بين الخبرات العلمية الوطنية والوافدة، مما جعلني أتذكر بداياتنا البائسة وحفرنا في الصخر وصولاً إلى ما وصلنا إليه.



نادي الطلبة بكورنيل



حصولي على الدكتوراه كان النجاح الذي
حلمت به وبداية مرحلة جديدة



أسامة عبدالرحمن



غازي القصيبي

وكنا في الجامعة أسرة واحدة، وكانت تدور بين بعضنا مساجلات وحوارات لطيفة، ومن بين من كنت وإياهم على تواصل دائم في تلك الفترة الزميلان الصديقان الدكتور أسامة عبدالرحمن، والدكتور غازي القصيبي رحمه الله.

ومن تلك المساجلات اللطيفة قصيدة خفيفة للأخ الدكتور أسامة بمناسبة تعيين الدكتور القصيبي رئيساً للسكة الحديد بالدمام وقال فيها:

قل للمعلم والعميد ... لك ما أردت وما تريد
أخشى من التأويل إن ... صرحت أن اليوم عيد
فإذا بعدت فإنه ... ما كنت يوماً بالبعيد
إن كان عهدك بيننا ... نشكوك للعهد الجديد
ما للسياسة ما لها ... وإدارة السكك الحديد

فما كان من غازي إلا أن رد عليه بقصيدة جميلة تقول:

الحمد لله المجيد ... يقضي ويفعل ما يريد
فبأمره وبفضله ... سرنا إلى السكك الحديد
نُعنى بأحوال القطار ... يسير من بيد لبيد
قال الزميل أسامة ... وهو المبرز في القصيد
ما للسياسة ما لها ... وإدارة السكك الحديد
فأجبت لا تعجب وخذ ... يا صاحبي الخبر الأكيد

إن السياسة فاعلمن — في كــل ميدان تفيــد
فن الإدارة ليس من — علم السياسة من بعـــيد
يا أيها الإخـــوان — أتركتكم وشوقي لا يبيــد

وإلى جانب هذه الروح الأخوية السائدة، فإن الجامعات كانت خلية نحل وتعددت الأنشطة التي تقوم بها. وأقامت في عهد الشيخ ناصر المنقور عام 1378هـ أول مؤتمر لمديري الجامعات السعودية، ولم تكن حينذاك قد وجدت سوى جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وجامعة البترول والمعادن بالظهران، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكان المؤتمر بمثابة انتزاع لاعتراف المجتمع بدورها المؤثر فيه، وتأكيدها لدورها الطليعي في صناعة المستقبل الأفضل من خلال المؤسسات الأكاديمية التي كانت تجد الكثير من الدعم والمؤازرة من معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير المعارف آنذاك ورئيس مجلس جامعة الملك سعود.

وإن أنسَ لا أنسى الجهد الكبير الذي كان يبذله الأستاذ الدكتور عبدالله الوهيبي عميد المكتبات بالجامعة لبناء مكتبة علمية ممتازة، وكان يعاونه في هذه المهمة الأستاذ عبدالله النعيم أمين مدينة الرياض فيما بعد.

وكانت الجامعة تحصل على الكثير من المصادر والمراجع والوثائق والمخطوطات من العراق بدعم ومساعدة السفير السعودي في بغداد آنذاك الشيخ محمد الشبيلي رحمه الله، فقد كان يوافينا بها ضمن الحقيبة الدبلوماسية الخاصة بالسفارة والمرسلة إلى المملكة في ظروف لم يكن من السهل للكتب والوثائق النادرة أن تغادر أوطانها وتصل إلى المملكة ليستفيد منها الطلاب والأساتذة وتقوم عليها حركة بحث علمي واسعة ومهمة.

وقد استمرت صلتي بالجامعة حتى عام 1392هـ/1972م، حيث عينت وكيلاً لوزارة المعارف في عهد الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله، ولم يدم الأمر طويلاً حيث عُينت بأمر من جلالة الملك فيصل وكيلاً لجامعة الملك عبدالعزيز بجدة خلال الفترة من 1392/8/4 حتى 1393/7/28هـ، حيث صدر أمر ملكي بتعييني مديراً لجامعة الملك عبدالعزيز، وظللت بها خلال الفترة من 1393/7/28 حتى 1395/9/20هـ، منغمساً في أجواء العمل الأكاديمي بالنسبة لجامعة وجدت نفسها حكومية للمرة الأولى، بعد أن كانت أول جامعة أهلية تُنشأ بالمملكة قبل ذلك إلى أن عينت وزيراً للإعلام في 1395/10/8هـ، ومكثت في وزارة الإعلام حتى 1403/7/11هـ، لأتجه بعد ذلك إلى الأنشطة الثقافية والفكرية والدعوية التي أحبها وأجد نفسي فيها.

وبعد تركي للإعلام عدت للتدريس بالجامعة في قسم الجيولوجيا، وفرحت بأن الكثير من أساتذتها هم من طلابي السابقين، ثم انضممت إلى مؤسسة دله التي أنشأها أخي صالح كامل، بالإضافة إلى إنشاء دار للنشر سميتها دار القبلة، وتفرغت للقراءة، ثم ساهمت في عضوية بعض المؤسسات الثقافية والاجتماعية الأخرى، ومنها رئاسة مجلس إدارة

مؤسسة مكة للصحافة والطباعة والنشر التي تصدر جريدة الندوة، ورئاسة مجلس إدارة نادي الوحدة بمكة المكرمة، لأعيد بذلك للعاصمة المقدسة بعض الدين الذي أسدته لي وساهم في تكوين شخصيتي وتمكيني من تحقيق بعض الإنجازات لوطني وأمتي والحمد لله.

الفصل الثاني

حياتي في الخدمة الحكومية

- جامعة الملك سعود بالرياض
- اختياري للتعاقد من الخارج
- السفير الشبيلي وأزمة مع السلطات العراقية
- وكالة وزارة المعارف للشؤون الفنية
- رفض الملك فيصل لقرار نقلي كمستشار
- إنجازات وتنظيمات هيكلية بالوزارة
- جامعة الملك عبدالعزيز بجدة
- الانتقال من جامعة أهلية إلى جامعة حكومية
- قفل قسم الطالبات
- إنشاء أول قسم للطاقة النووية
- جامعة أم القرى بأمر الملك
- وزارة الإعلام
- عبدالله بلخير.. في اليوم الأول بالوزارة
- مغامرة البيان الأول تمر بسلام
- رؤساء التحرير برفقة الملك
- مآزق صحفية لا تنتهي
- التلفزيون وموقف المشايخ منه
- مداهمة الإذاعة من قبل بعض المجتهدين
- قصة الإعفاء من الوزارة
- المتطلبات الجديدة للمهنة الإعلامية
- بعد الوزارة

جامعة الملك سعود



مع هيئة التدريس في جامعة الملك سعود

بعد حصولي على درجة الدكتوراه وعودتي إلى الرياض عام 1968، رجعت إلى كلية العلوم في جامعة الملك سعود، وعملت أستاذاً للجيولوجيا الاقتصادية، وكان معي صفوة من الزملاء، وكان عميد الكلية في ذلك الوقت الدكتور رضا عبيد الذي أصبح بعد ذلك مديراً لجامعة الملك عبدالعزيز بعد تركي لإدارتها مباشرة، ووكيل الجامعة الدكتور عبدالعزيز الخويطر الذي أصبح بعد ذلك وزيراً للمعارف ثم وزير دولة بمجلس الوزراء، وأمين الجامعة الدكتور عبدالله الوهيبي، وأمين الجامعة الأستاذ عبدالله النعيم، وقد أسهموا جميعا في دعم عملية التعليم في الجامعة وتذليل كل الصعاب التي كانت تواجهنا، مما ساعدنا على تقوية تحصيلنا في الكلية.

ثم شاء الله أن أقوم بالتدريس في بعض الكليات العسكرية مثل كلية الضباط العظام في شارع المطار، والكلية الحربية، وكان مديرها الشيخ علي حسن الشاعر الذي أصبح بعد ذلك وزيراً للإعلام بعد تركي للوزارة، وبعد عام عينت وكيلا لكلية العلوم، ومن الزملاء الأعزاء الذين زاملتهم في الكلية في تلك الفترة وعشت معهم أجمل الذكريات الأخ العزيز الدكتور سالم مليباري، والدكتور عبدالغني حمزة، والدكتور عبدالعزيز أبوزنادة، والدكتور علي مفتي، والدكتور أحمد باسهل، والدكتور حسان حسني طاهر، وقد تفرقت بنا السبل

بعد ذلك بين العمل الجامعي وبين الوظيفة الحكومية وبين الحياة الفطرية وسواها.
وكنت دائما أشعر بالتقدير والاحترام للرجال الذين وقفوا خلف هذه الجامعة، وصمموا على استمرارها خاصة بعد مغادرة مديرها الأول -رحمه الله- الأستاذ عبدالوهاب عزام، فقد حمل المسؤولية من بعده رجل من رجال التعليم المخلصين والبارزين، والذي اشتهر بإخلاصه وشجاعته وحسن إدارته، حتى استمرت الجامعة في طريقها وازدهارها وتطورها، وهو معالي الأستاذ ناصر المنقور الذي أصبح بعد ذلك وزير دولة بمجلس الوزراء، قبل أن يصبح سفيراً في أكثر من دولة أوروبية لقوته ونفاذ بصيرته، فقد كان على مستوى المرحلة والمسؤولية، حيث دعمها وكان دائم الاتصال بالمغفور له الملك سعود -رحمه الله- وولي عهده الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وبوزير المعارف آنذاك الأمير فهد بن عبدالعزيز، حتى وقفت الجامعة على أقدامها، وواصلت تطورها، ثم عقد لها أول مؤتمر لمديري الجامعات العربية لوضع نظامها وتثبيت قواعد العمل فيها، فثبتت ونضجت واستمرت واعترفت بها الجامعات العربية، ثم الجامعات الإسلامية فالعالمية، ويعد الدكتور ناصر المنقور -رحمه الله- صاحب فضل في تثبيت وترسيخ مكانتها في ذلك الوقت، وقد ساعده في ذلك رجال مخلصون أمثال الأستاذ عبدالعزيز الخويطر، والدكتور رضا عبيد، ثم بعد ذلك الدكتور عبدالله الوهيبي، ثم الدكتور عبدالله النعيم، وظل على اتصال دائم بالجهات العليا في الدولة يطلعها على كل مراحل تطور الجامعة، واستطاع أن يفتح أبواب القبول أمام الأعداد الكبيرة من الطلاب.



عبدالوهاب عزام



ناصر المنقور

اختياري للتعاقد من الخارج

واصلت عملي بالتدريس في الجامعة، وكان هناك عدد من كبار الأساتذة من مصر يساهمون في التدريس في الجامعة، ثم شاء الله أن تحصل جفوة في العلاقات بين المملكة وجمهورية مصر العربية في ذلك الوقت، وتم سحب المصريين من العمل بالمملكة بقرار من الرئيس جمال عبدالناصر آنذاك، فقررت الجامعة التحول للتعاقد مع أساتذة من العراق ومن سوريا ولبنان، وكان المشرف على التعاقدات واختيار الأساتذة هو الأستاذ عبدالله العلي النعيم أمين عام الجامعة، وكان يمثل رئاسة تعليم البنات الأستاذ عبدالله العقيل رحمه الله، ولكن فجأة حصل ما لم يكن في الحسبان، حيث إن بعض المستشارين من غير السعوديين في الديوان الملكي آنذاك، ومنهم الشيخ محمد محمود الصواف الذي لم يكن يرتاح لهؤلاء، قد وشى بهما وتم استبدالهما.

فوجئت بعد ذلك بأن الدكتور عبدالعزيز الخويطر يطلبني لمقابلته، ويكلفني بأن أذهب إلى العراق وإلى سوريا ولبنان للبحث عن أساتذة للتدريس في الجامعة، وحزمت أمتعتي وذهبت، فكانت أول محطة لي هي بغداد حيث كانت تزخر بالعديد من الأساتذة والعلماء الأفاضل، وقد تعاقدت مع مجموعة منهم، وقاموا بأدوار مشرفة في التدريس ورعاية الأبحاث بجامعة الملك سعود في سائر كلياتها.



كثير من الأساتذة الذين تعاقدت معهم للجامعة قاموا بأدوار مشرفة في التدريس

السفير الشبيلي وأزمة مع السلطات العراقية

كان من حسن حظي عندما كنت أذهب للعراق في تلك الفترة أن سفير المملكة بها هو الشيخ محمد الشبيلي الذي رعى جميع أعضاء البعثات رعاية خاصة، وكان يفتح لنا قلبه وصدره، وهذا الإنسان تميز بكرم حاتمي، وكانت له مواقف مشرفة مع كل مواطن يصل إلى بغداد، حيث يكرمه ويعينه على قضاء حوائجه، وكان قد تميز بذلك الكرم في كل السفارات التي عمل فيها من قبل ومن بعد.



السفير محمد الشبيلي

ولقد كان من حسن حظي -كما ذكرت- وجوده كسفير، فقد اصطحبني إلى الرئيس العراقي آنذاك أحمد حسن البكر، وإلى نائبه صدام حسين، وإلى مقابلة بعض الوزراء، والذين كانوا يقدرونه ويحترمونه ويحرصون على قضاء حاجاتنا ويذللون الصعاب التي كانت تصادفنا في مجال التعاقد.

وقد قام معالي الشيخ الشبيلي بتقديم خدمة عظيمة لجامعة الملك سعود، حيث كانت هناك مكتبات ثمينة تحتوي على مخطوطات مهمة بعضها في جامعة بغداد وبعضها في مكتبات خاصة، وكنا في حاجة لها في الجامعة ، وكان الأخ الدكتور عبدالله الوهيبي والأستاذ عبدالله العلي النعيم يتوقان للحصول عليها، فقمت بشرائها، ولكن كان من الصعب علي إرسالها بالطرق العادية الى الجامعة بالرياض، فقد كان هناك قرار من حكومة العراق بمنع إخراج المخطوطات، حتى لو كانت شخصية، إلى خارج بغداد، فكان الشيخ محمد الشبيلي يأخذها ويضعها ضمن الحقيبة الدبلوماسية، ثم يبعثها إلى جامعة الملك سعود.

وحينما علمت وزارة الخارجية العراقية بذلك بفعل تضخم الحقيبة الدبلوماسية، اتصل به مدير مكتبها في ذلك الوقت، وقال يعاتب السفير: يا معالي الشيخ، أنتم سفير المملكة السعودية، وتعرفون الحب والتقدير الذي نكنه لكم، ونعتبر أنفسنا وأنتم شعبا واحدا، ولكن أود أن أقول لك إن الحقيبة الدبلوماسية الخاصة بسفارتكم أصبحت حقيبة كبيرة جدا، بل صناديق، ورد عليه الشيخ محمد الشبيلي: إننا في كثير من الأحيان نبعث بعض الأشياء التي يطلبها منا الإخوان في المملكة من خيراتكم في العراق، فأرجو المعذرة. بعدها توقفنا عن إرسال الكتب، واحتفظنا بها لدى السفارة لدى الملحقية الثقافية في بغداد، وكان يرأس الملحقية في ذلك الوقت الأستاذ إبراهيم القدهي المحمد الذي

اخترته بعد انتقالي إلى وزارة الإعلام ليصبح وكيلاً للشؤون المالية والإدارية، وكان من صفوة الرجال الذين قاموا برعاية الطلاب الذين يدرسون في بغداد، وكذلك في تيسير عملية التبادل الثقافي بين المملكة والعراق، وهو من الرجال الذين أعتز بهم حتى اليوم، فقد قدم خدمات جليلة لجامعة الملك سعود وبقية جامعات المملكة، وساهم في توثيق العرى الثقافية بين المملكة والعراق.



عبدالله العلي النعيم

ورغم الأنشطة العلمية الكثيرة التي قدر لي القيام بها أثناء عملي بالجامعة، سواء على المستوى البحثي، أو المستوى الإداري، واللوجستي، أو على مستوى النشر والثقافة والتواصل مع المؤسسات العلمية وغير العلمية من داخل المملكة وخارجها؛ رغم كل ذلك فقد كنت كثير الاهتمام بعلم الجيولوجيا بحكم تخصصي، وكانت لي اهتمامات خاصة بمتابعة علوم الفضاء وكشوفاته، وفوجئت ذات يوم بدعوة لزيارة إحدى المدارس الثانوية بعاصمة دولة الإمارات العربية أبوظبي لإلقاء محاضرة عن علوم الفضاء ولبيت الدعوة، لكن المفاجأة الأكبر التي وقعت لي بعد ذلك هو استدعائي من قبل السلطات الإماراتية المختصة لمقابلة سمو أمير الدولة الشيخ زايد بن سلطان، وكان ما كان من أمر هذه الدعوة التي كانت سبباً في تطوير العلاقات بين المملكة ودولة الإمارات العربية المتحدة.



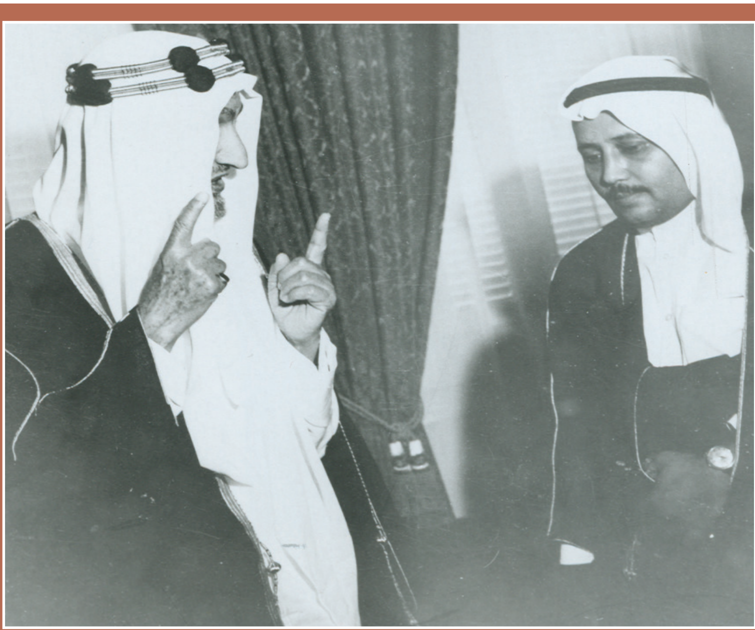
إبراهيم القدهي

إلا أن المشهد المثير الذي تعرضت له كان وداعي من قبل زملائي في الجامعة، بعد أن تم اختياري لأكون وكيلاً لوزارة المعارف آنذاك للشؤون الفنية، فقد كان الوداع عاطفياً ومؤثراً، ولا يمكن أن أنساه.



كنت كثير الاهتمام بعلم الجيولوجيا بحكم تخصصي

وكالة وزارة المعارف للشؤون الفنية



اهتمام الملك فيصل شخصيا بموضوع تعييني كان محل اعتزازي

رفض الملك فيصل لقرار نقلي كمستشار

انتقلت بقرار من مجلس الوزراء من جامعة الملك سعود إلى وزارة المعارف وكيلاً لوزارة المعارف في عام 1392، وظللت هناك عدة شهور، ثم فوجئت بطلب تحويلي إلى مستشار للوزير، وتأثرت يومها وطلبت أن أعود للجامعة، وكتب معالي الشيخ حسن آل الشيخ للملك فيصل بذلك، الذي تأثر كثيراً، واستغربت من تذكره لقرار تعييني وقد مضى عليه عدة أشهر، فقال في المجلس: يا شيخ حسن أنتم طلبتم تعيين الدكتور محمد عبده يماني وأثنيتم عليه، فلماذا الآن تحولونه إلى مستشار!، واعتذر الشيخ حسن إلى الملك بأن بعض وكلاء الوزارة في ذلك الوقت طلبوا تركيز أعمال الوزارة في وكيل واحد.

كان يومها الأخ الأمير خالد بن فهد وكيلا لوزارة المعارف، فطلب الملك فيصل وهو يرأس المجلس كامل المعاملة، ثم أصدر قرارا جديدا بالتأكيد على عملي وكيلاً لوزارة المعارف، وأن أمارس جميع الصلاحيات، بالإضافة إلى تمثيلي للوزارة في الجامعات، وكان ذلك خبراً أسعدني لاهتمام الملك فيصل شخصياً بهذه القضية، وأصبحت بعد ذلك أمثل وزارة المعارف في جميع الجامعات، وتصالحت أنا والصديق الأمير خالد بن فهد وتوطدت علاقتنا الشخصية بعد ذلك كثيراً.

وقد حرصت خلال عملي بالوزارة على أن أطبق المعايير العلمية على العمل الإداري في الوزارة لاسيما وأن الصلة بين الوزارة والجامعة كانت قوية والتعاون كان وثيقاً.

إنجازات وتنظيمات هيكلية بالوزارة



الشيخ حسن آل الشيخ وزير المعارف كان يدعمني كثيرا

وأحمده تعالى أن مكنني من أن أعيد تنظيم بعض الوحدات الإدارية وأسهم في هيكلتها، بحيث تم الفصل بصورة تدريجية بين عمل الوزارة وبين عمل جامعة الملك سعود، وأن أجعل اهتمامات الوزارة منصبة على الاهتمام بالتعليم العام، بدءاً بالمرحلة الابتدائية وانتهاءً بالمرحلة الثانوية، بحيث تكون لكل مرحلة من المراحل الثلاث (الابتدائية/ المتوسطة/الثانوية) هيكلتها الخاصة وأنظمتها وبرامجها وجداولها الدراسية وكوادرها الخاصة، وأن يكون هناك تدرج تلقائي بين جميع المراحل، بحيث تتم عملية التكامل بينها بصورة طبيعية وتكاملية.

كما نجحنا في تلك الفترة في وضع قواعد عمل منظمة للتعاقد من الخارج لوظائف التدريس المتزايدة بقوة، وبدأنا في وضع الأسس العملية لسعودة قطاع التعليم بتدرج حذر ودقيق، لئلا نؤثر على نوعية المخرجات العلمية في النهاية، وإن تم تجاوز هذه المحاذير بعد ذلك كثيراً.

جامعة الملك عبدالعزيز



لقاء مع الأساتذة والطلاب بجامعة الملك عبدالعزيز

استمر عملي وكيلاً لوزارة المعارف، ثم فوجئت بصدور قرار مهم في حياتي بنقلي إلى جامعة الملك عبدالعزيز في جدة في 1392/8/4 لكي أكون وكيلاً وذلك بعد أن صدر أمر ملكي بتحويلها من جامعة أهلية إلى جامعة حكومية، ثم صدر قرار آخر بعد ذلك فأصبحت مديراً للجامعة في 1393/7/28، ولم يكن عدد الطلاب يومها يزيد على 120 طالباً كانوا موزعين بين كلية الاقتصاد والإدارة وكلية الآداب وكلية العلوم.

الانتقال من جامعة أهلية إلى حكومية

لقد كانت سعادتي عظيمة وأنا أتحمل مسؤولية إدارة الجامعة، وكان يحمل المسؤولية معي عدد من الرجال المخلصين الذين ساهموا في إنشائها منذ أن كانت جامعة أهلية، والحق أنهم وقفوا معي وساعدوني وأيدوا المسيرة، وأذكر منهم الدكتور محمد عمر زبير، والدكتور عبدالله عمر نصيف، والدكتور محمد علي حبشي، والدكتور حسن عبدالله أبو ركبة رحمه الله، والدكتور محمد زيان عمر، وأذكر كذلك أنه كانت لدينا مشكلة هي أن عدد الطلاب الذين يتقدمون إلى جامعة الملك عبدالعزيز قليل، وكانت مستوياتهم الدراسية منخفضة، فهم عندما لا يقبلون في أي من جامعات المملكة يأتون إلينا، وقد أشعرنا ذلك بالحرج وبالدونية، هذا بالإضافة إلى سبب آخر وهو أن مدة الدراسة بالجامعة كانت تستغرق خمس سنوات، لأن هناك سنة تحضيرية ضمن الخطة الدراسية للجامعة، واضطررنا لاتخاذ قرار بإلغاء السنة التحضيرية، وقد تعرضنا للكثير من النقد والاعتراض، وبعد إلغاء السنة التحضرية جاءتنا أعداد كبيرة من الطلاب والطالبات، وبمستويات عالية ومتميزة، وكانت جامعة الملك عبدالعزيز السباقة إلى احتضان الفتاة السعودية في الدراسة الجامعية، وقد نتج عن ذلك خير كثير والحمد لله.

ثم سعينا بعد ذلك إلى ضم كلية التربية وكلية الشريعة في مكة المكرمة إلى جامعة الملك عبدالعزيز، ومن ثم أصبح هناك فرع للجامعة بمكة المكرمة تابع لمركزها الرئيسي في جدة، ثم افتتح فرع ثالث للجامعة في الطائف. واستفدت من خبرة رجال كانوا هناك أمثال الدكتور عبدالعزيز فدا والدكتور عبدالوهاب أبو سليمان.

وكان يعينني في إدارة القسم النسائي سيدة فاضلة هي السيدة بوران قباني، وتساعدها الدكتورة مديحة درويش، وكانت الدكتورة سميرة إسلام تهتم وتشرف على القسم العلمي.

أما في قسم الطالبات في مكة، فكان يحمل المسؤولية عدد من السيدات الفضليات، منهن السيدة إصلاح سهيل، والسيدة نجلاء الشيبي، والسيدة فائقة بدر، ومجموعة أخرى من السيدات الفاضلات اللاتي تحملن المسؤولية، ومضت الجامعة وأثبتت وجودها بفرعيها في مكة وجدة ثم الطائف والمدينة بعد ذلك.

وقد دخلت الجامعة في تلك الفترة في رباط وشيج مع المجتمع، فعقدت فيها الندوات والمؤتمرات، وعقدت مؤتمراً مهما في كلية الآداب وكلية التربية والشريعة في مكة، وهو المؤتمر الأول للأدباء السعوديين ، تم فيه تكريم الأدباء السعوديين والتنويه بهم، ثم عقدت الجامعة مؤتمرا هاما آخر هو أول مؤتمر للتعليم والمعلمين، ومؤتمرا ثالثا للاقتصاد الإسلامي تحت إشراف كلية الاقتصاد بالجامعة.

والحق أنني عندما دخلت إلى الجامعة للمرة الأولى، شعرت بتقدير واحترام لهمم أولئك الرجال الذين تنادوا وتعاونوا في بادئ الأمر في سبيل إنشاء أول لبنة لجامعة



مؤتمر الأدباء بجامعة الملك عبدالعزيز

الملك عبدالعزيز الأهلية التي بدأت فكرة إنشائها في شهر محرم عام 1384هـ الموافق 9 يونيو 1964م، عندما طرح الأستاذ محمد علي حافظ في صحيفة المدينة التي كان يرأس تحريرها، فكرة تأسيس جامعة أهلية في جدة، وقال إنها أصبحت ضرورة، ثم توالت ردود الفعل وتنادى الرجال المخلصون بدعم الفكرة، وعارضها آخرون، ولكنها نجحت وظهرت إلى حيز الوجود بهمم تلك المجموعة المخلصة من الرجال، وكان ممن دعمها في أول مراحلها وجعلها تتحول إلى حقيقة هو الشيخ محمد أبوبكر باخشب -رحمه الله- عندما أعلن عن تبرعه بمليون ريال للجامعة فأصبحت حقيقة، وكما قيل: أذاب الجليد وأزال التردد، وبذلك أصبحت الجامعة حقيقة واقعة وبدأت الخطوات التنفيذية الأولى لإنشائها، وجاءت الهيئة التأسيسية الأولى والتي تكونت من السادة أحمد شطا، محمد أبوبكر باخشب باشا، السيد عبدالله الدباغ، وهيب بن زقر، أحمد صلاح جمجوم رحمهم الله، والأستاذ محمد علي حافظ، ثم صدرت الموافقة على أن تحمل الجامعة اسم الملك عبدالعزيز، وبدأت الانطلاقة، وكانت موفقة ومنظمة وجادة، وبدأت المسيرة، ثم جاء دعم معالي الشيخ عبدالله السليمان في الوقت المناسب، فقد تبرع بأرض واسعة للجامعة مساحتها 750 ألف متر مربع، بما كان عليها من مبان، وهي التي قامت عليها الجامعة، وبدأ الناس بدعم الجامعة بالتبرعات المالية والأدبية، وأعطوا الفرصة لكل أبناء الوطن ولأهل جدة خاصة للمساهمة والتبرع والدعم بكل أنواعه وأشكاله، وساهم هذا في تقدم مسيرة الجامعة، واتفق المؤسسون على أن تهتم الجامعة بتراث المجتمع الإسلامي والعربي



حمل معي مسؤولية إدارة الجامعة كثير من الرجال المخلصين

وتقاليده، وأن تأخذ بكل أسباب التقدم العلمي، وجعلوا لغة التدريس فيها هي اللغة العربية كلغة أساسية، ثم اللغة الإنجليزية ثم بقية اللغات كلغات إضافية، وكان للملك فيصل -رحمه الله- دور بارز في تشجيع الجامعة، وكذلك كان الأمير خالد بن عبدالعزيز من الداعمين والمؤيدين لها، وسلمت إدارة الجامعة إلى الأخ الأستاذ أحمد محمد علي رئيس بنك التنمية الإسلامي بعد ذلك، الذي تحمل المسؤولية في تلك الفترة مع الهيئة التأسيسية للجامعة، وكان أول وكيل للجامعة، وقد وقف معه وساعده في ذلك مجموعة من الرجال وفي مقدمتهم الأخ الدكتور السيد محمد علي حبشي، والدكتور محمد عمر زبير، والسيد محسن باروم كأمين للجنة التنفيذية. وهناك العديد من الرجال الذين عملوا بها وساهموا في نهضة الجامعة منهم من ساهم في إدارتها، ومنهم من ساهم في شؤونها العلمية والتعليمية، ومنهم من ساهم في بناء مكتبتها مثل الدكتور عباس طاشكندي، فقد بناها بأمانة ولم يسلمها حتى أكملها، وكان عميدا وعمدة للمكتبات.

وعندما تسلمت إدارة الجامعة كان لي شرف المساهمة في إنشاء العديد من كلياتها وخاصة كلية الطب وكلية الهندسة وكلية علوم البحار، ولقد كانت فترة ممتعة وجميلة ورائدة في حياتي ومن الأيام والسنوات التي أتذكرها وأعتز بها وبالرجال الذين سبقوني والرجال الذين عملوا معي والنساء اللاتي ساهمن معي في تعليم الفتاة.

وخلال فترة إدارتي للجامعة كنت حريصاً على أن تنضم إلينا كلية المعلمين للجامعة، وقد حاولت محاولات عديدة في سبيل ذلك ولم يتسن لي تحقيق ذلك الحلم في ذلك الوقت، وقد فرحت في السنوات الأخيرة عندما رأيت أن ذلك قد تحقق بربط جميع الكليات، مثل

كليات التربية وكليات المعلمين وما في حكمها في تعليم البنين والبنات بالتعليم العالي، بعد أن كان مرتبطاً بوزارة المعارف، وأصبحت هذه الكليات الآن ضمن كوادر الجامعات العلمية وتحت مظلتها الأكاديمية.

إنجازات وعقبات

والحقيقة أن الجامعة قد بنيت بعناية فائقة، بتعاون الرجال والنساء المخلصين الذين آزروني في تأسيس العديد من الكليات الجديدة فيها وفي انتقاء عمدائها ووكلائها وكوادرها العلمية، مثل كلية الطب وكلية الهندسة وكلية علوم البحار، وكذلك توسعها -كما سبق لي أن أشرت- بإقامة فروع لها في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف، حيث أصبحت تلك الفروع الآن جامعات مستقلة تشع المعرفة وتطلقها في كل اتجاه.

كما نجحنا في تأسيس أول مركز لدراسات الحج، وقمنا بمسح كامل لآثار مكة المكرمة والمدينة المنورة ومدائن صالح، وأنشأنا نواة للمتحف التعليمي لأبحاث الحضارة، ومركزا للوثائق والمعلومات، ومحطة للأرصاد الجوية.

ونظمنا في نفس الوقت أول مؤتمر للأدباء في المملكة العربية السعودية، وأول مؤتمر للمعلمين، ومؤتمراً للاقتصاد الإسلامي -كما أشرت- مما كان فتحاً في توسيع دوائر مساهمة الجامعة في خدمة المجتمع والأمة بالإضافة إلى اهتمامها بتأهيل الأجيال وصناعة عقولهم وتنمية خبراتهم، وذلك بالتوسع في الابتعاث الخارجي تأسيساً لكوادر سعودية عالية من أعضاء هيئة التدريس الذين أصبحوا يتولون شؤون الجامعة ومسؤولياتها العلمية والفنية الإدارية.

قفل قسم الطالبات

لكن الإشكالية الأكبر التي واجهتنا في الجامعة هي مطالبة الرئيس العام لتعليم البنات آنذاك الشيخ ناصر بن حمد بقفل قسم الطالبات في الجامعة، بعد أن كنا قد اتخذنا قراراً جريئاً وغير مسبوق بذلك، انطلاقاً من إيماننا بأن من حق الفتاة أن تنال نصيبها من التعلم الأكاديمي، شأنها في ذلك شأن جميع الأبناء، ومضينا في هذا الاتجاه، وحرصنا على إيجاد التخصصات المناسبة لهن، وتدرجنا في ذلك حتى تستثمر جميع الطاقات والمواهب المخبوءة فيهن.

وقد تمكن الشيخ ناصر بن حمد من إقناع الملك فيصل بضرورة اقتصار تعليم البنات على الرئاسة العامة التابعة له، والتي يشرف عليها عدد من رجال العلم، مما أدى إلى صدور التوجيه بإيقاف القسم، فكان ذلك بالنسبة لي بمثابة صدمة قوية، ونحمد الله تعالى على أن ذلك لم يتم، وانتصرت الفكرة في النهاية، وبذلك كانت جامعة الملك عبدالعزيز سباقة في فتح أبواب التعليم الجامعي أمام الفتاة السعودية، ليتطور هذا المفهوم الآن، وتصبح هناك جامعة الأميرة نورة للبنات بالرياض، تمهيداً لمرحلة قادمة لن ترى هناك حاجة لفصل تعليم البنات في جامعة مستقلة في المستقبل المنظور.



علاقتي مع المديرين الذين تعاقبوا على رئاسة جامعة الملك عبدالعزيز منذ إنشائها

إنشاء أول قسم للطاقة النووية

ومما أفخر به وأعتز، تلك الخطوة المبكرة التي قمنا بها في الجامعة عام 1395هـ، عندما بدأنا في التخطيط لإنشاء قسم للطاقة النووية، ضمن أقسام كلية الهندسة عند إنشائها في عام 1395/1394هـ، وذلك لأهمية هذا التخصص في عصرنا، وقد راعينا في البرنامج المقدم أن يفي بحاجة المملكة العربية السعودية الحالية والمستقبلية في هذا الجانب، حيث تم بعد ذلك إنشاء برنامجين هما هندسة الوقاية الإشعاعية وهندسة الفيزياء الطبية، على أن يكون القسم النووي هو المرجع الأول في علوم وأبحاث الطاقة والتقنية النووية، وفي مجالات هندسة الوقاية الإشعاعية وهندسة الفيزياء الطبية وتطبيقاتها وإعداد كوادرها في المملكة.

أما رسالة القسم فقد تمثلت في إعداد الكوادر في تقنيات الطاقة النووية، واستخدام النظائر المشعة والوقاية من الإشعاع، وهندسة الفيزياء الطبية والمساهمة في تطوير تطبيقاتها في المملكة، مع وقاية الإنسان والبيئة من تأثيراتهما.

وكان من أهم أهداف القسم إعداد مهندسين مؤهلين للعمل بكفاءة في مجالات إنتاج واستخدامات النظائر المشعة والوقاية من الإشعاع، ومجالات الطاقة وهندسة المفاعلات النووية، وهندسة الفيزياء الطبية، من خلال تقديم برامج تعليمية موجهة على مستوى مراحل البكالوريوس والدراسات العليا، وإعداد البحوث والدراسات، وتقديم الاستشارات

وخدمة المجتمع في مجالات الهندسة النووية وهندسة الوقاية الإشعاعية وهندسة الفيزياء الطبية، وتقديم دورات تدريبية في الوقاية من الإشعاع وهندسة الفيزياء الطبية ومجالات الهندسة النووية الأخرى، وكذلك متابعة التطورات في مجالات الطاقة وتطبيقات النظائر المشعة والحماية من الإشعاع وهندسة الفيزياء الطبية، والمساهمة في نشر الثقافة الهندسية النووية وتعريب علومها.

وقد اتصلت بمعالي الأخ أحمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية آنذاك، وأبلغته بتوجهنا لافتتاح هذا القسم بالجامعة، وبارك الخطوة وأيدها، وكتبت له بعد ذلك عنها رسمياً وأبلغته بأهداف القسم ووظائفه ومكوناته العلمية وتوجهاته البحثية الخالصة، ورد عليّ بخطاب قال فيه:

صاحب المعالي الدكتور محمد عبده يماني المحترم

مدير جامعة الملك عبدالعزيز

بعد التحية:

تلقيت ببالغ الشكر رسالتكم رقم 72 /خ/95 في 95/2/16هـ حول ما أشرتم إليه من أن الجامعة تخطط لإنشاء قسم نووي بكلية العلوم، ورغبتكم اشتراك وزارة البترول والجامعة معاً في الدراسات العلمية لهذا المشروع.

وإني إذ أهنئكم على قراركم بإنشاء قسم نووي بكلية العلوم. أقترح أن نبحث الموضوع شفوياً في أول فرصة نجتمع فيها.

وتقبلوا معاليكم صادق تحياتي،،،

وزير البترول والثروة المعدنية

أحمد زكي يماني

وفي غمرة تلك الفرحة، صدر قرار بإيقاف المشروع وتحويله إلى قسم هندسة نووية ضمن أقسام كلية الهندسة بالجامعة وليس كياناً مستقلاً يقوم بكل المهام المنوطة به وفقاً للتخطيط الذي وضعناه.

وقد علمت بعد ذلك أن إحدى السفارات الأجنبية كانت خلف اقتراح الدمج له بكلية الهندسة وقصر اهتماماته على نواح معينة دون أخرى، فهم يعرفون كمية المواد المشعة الموجودة في صخور المملكة، وكرهوا أن نبدأ بقسم نووي قد تكون له أبعاده ومساهماته في تطوير بنية أساسية لاستخدام الطاقة لأغراض أخرى.

وأحمد الله سبحانه وتعالى على أن ما فكرنا فيه منذ 36 عاماً قد أصبح اليوم حقيقة واقعة، وذلك بصدور الأمر الملكي بتأسيس مدينة الملك عبدالله للطاقة الذرية المتجددة، وهي ولا شك بداية هامة وصحيحة وقوية وتخدم العديد من الأغراض الاقتصادية والأمنية الهامة على حد سواء.



كلية علوم الأرض بجامعة الملك عبدالعزيز

أول كلية لعلوم الأرض

بدأ هذا المعهد العلمي كخطوة موفقة أنشأتها وزارة البترول والمعادن، وقد حرصت أثناء إدارتي للجامعة على احتضان هذه الكلية وضمها للجامعة بالاتفاق مع وزارة البترول، وقمت بالتفاوض معهم وانتهت هذه المفاوضات بدمج المعهد وضمه إلى قسم الجيولوجيا وإنشاء كلية علوم الأرض التي نعتز بها اليوم كصرح علمي، فهي أول كلية علمية في بلادنا تمنح درجة الماجستير والدكتوراه، وكان لمعالي الشيخ أحمد زكي يماني دور في تذليل صعوبات الاندماج ومعه الأخ الأستاذ غازي سلطان وكيل وزارة البترول لشؤون الثروة المعدنية آنذاك، وكان مدير المعهد الدكتور أحمد الشنطي، وقد تشرفت بحضور أول جلسة مناقشة منحت فيها أول درجة للدكتوراه عام 1402هـ، ومن يومها ظلت هذه الكلية تساهم في التقدم العلمي والحضاري لبلادنا، وتركز بصورة خاصة على البحث العلمي في مجال علوم الأرض، وفي الوقت نفسه ساهمت في إعداد كوادر متخصصة في مجال دراسات علوم الأرض، ثم قامت بخطوات موفقة في مجال إعداد الفنيين على مستوى الدبلوم الفني، وهذا في رأيي عمل صالح وموفق جمع بين القمة والقاعدة، ففي الوقت الذي عنيت فيه الكلية بدراسات الدكتوراه والماجستير حرصت على إعداد الطبقة الفنية، واهتمت بهذا الجانب وركزت على عمليات التدريب ورفع مستوى العاملين بصورة عامة في مجالات علوم الأرض، ومن ينظر في مسيرة الكلية يشعر بفخر لكل تلك البحوث الجادة



كنت أعتز بتدريسي لمادة الجيولوجيا الاقتصادية لبلادنا

والدراسات القيمة، ثم الأبحاث التطبيقية التي أنتجتها لغرض تطوير الثروة المعدنية والثروات المائية، كما قدم أساتذة الكلية مشورات فنية وعلمية للجهات المختلفة في المملكة العربية السعودية، وأنا ما زلت أفتخر باستمرار عملي معهم في هيئة التدريس بقسم الجيولوجيا الاقتصادية حتى اليوم، وساهمت مع أساتذتها فيما قدمته الكلية في مجال علوم الجيولوجيا الاقتصادية لبلادنا.



ضم كلية الشريعة لفرع الجامعة بمكة وسع من خيارات التخصص في الجامعة

أم القرى بأمر الملك

أحسست بشيء من عبير التاريخ وأنا أنظر في جنبات وأروقة جامعة أم القرى اليوم، وتذكرت تلك الأيام العظيمة يوم وُضِعَتْ اللبنات الأولى لكلية الشريعة كنواة للتعليم الجامعي في أوائل عام 1369هـ لتدريس العلوم الشرعية، وكانت هذه الكلية أول تجربة رائدة للتعليم العالي الحديث في المملكة العربية السعودية، وكان أول عميد لها هو الشيخ أحمد محمد علي كاظم رحمه الله، ورعاها مدير المعارف العامة الشيخ عبدالعزيز بن مانع رحمه الله، ثم تطورت وضمت كلية أخرى هي كلية المعلمين وأصبحت فيما بعد كلية التربية.

ثم طافت بي الذكريات يوم استلامي لإدارة الجامعة، وكانت جامعة أم القرى لم تعلن بعد، وقمنا يومها بخطوة رائدة عندما فتحنا فرعاً لجامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة ضمت كليات الشريعة والتربية والدراسات العليا، فوسعت تلك الخطوة من خيارات التخصص في الجامعة، وأضافت إليها نكهات جديدة دفعت بمسيرتها إلى الأمام، وكنت أداوم ثلاثة أيام في مكة وثلاثة أيام في جدة.

وكان يرأس كلية الشريعة آنذاك معالي الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة فيما بعد، وكلية التربية معالي الدكتور عبدالعزيز خوجة، وزير الثقافة والإعلام بعد ذلك، وكيف عشنا تلك الأيام السعيدة ونمت الجامعة نموا كبيرا واستوعبت

وضمت الآلاف من أبناء مكة المكرمة وما حولها والطائف، بل وكل جنبات المنطقة الغربية، ثم بقية أنحاء المملكة العربية السعودية، وازدحمت أروقة الجامعة واستقطبت مئات المدرسين من جامعات العالم الذين قدموا وساهموا في إنشائها، ثم فتحت الجامعة أبوابها لطلاب العلم من شتى بقاع العالم الإسلامي.

ثم تذكرت ذلك اليوم الخالد يوم كنت وزيراً للإعلام، وكنا نصلي في المسجد الحرام في مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام مع الملك خالد رحمه الله وتغمده بواسع مغفرته ورضوانه، وكيف أبدى رغبة ونحن جلوس في المقام انتظاراً للصلاة في أن تكون في مكة جامعة، وحرص على إعلانها، وكلفني بذلك الإعلان، فجاءت تلك الفرصة مواتية عندما اجتمع أهل مكة لتكريمه في حفل استقبال كبير، وألقى الشاعر المكي المرحوم علي أبو العلا قصيدة تكريما لجلالته، وطلب فيها أن تكون بمكة جامعة، وهو نفس الأمر الذي فكر فيه الملك من قبل وقال فيها:

إنا نبثك ما نـريد فأنت مـــن لبى المطالب والجواب قبول
نحتاج جامعة تضم معاهـــدا في قلب مكة تزدهي وتنيـل
طلاب مكة والضواحي والقـرى شتى العلوم ورأسها التنـزيل
لتكون صرحا من صروح بنائكم للعلم والجهـل البغيض يزول
واليوم مكة وهـي ترقب مجدها ترجو مزيدا والمزيد قليـل

وقد أمرني الملك خالد بأن أُعلن باسمه في تلك اللحظة عن إنشاء جامعة أم القرى، وكانت تلك الخطوة الموفقة والمباركة، ولبنات أخرى أضيفت على هذا البناء الشامخ جامعة أم القرى، وتحمل مسؤوليتها رجال بعد رجال ونساء بعد نساء في جنبات الجامعة من أساتذة وأستاذات، ومربين ومربيات، وباحثين وباحثات، حتى غدت على هذا النحو الذي هو مفخرة لنا جميعا في هذا اليوم.



أمرني الملك خالد أن أعلن باسمه إنشاء جامعة أم القرى



د. أحمد محمد علي أول من أبلغني بخبر تعييني وزيرا للإعلام

وزارة الإعلام

كان اختياري لمنصب وزير الإعلام مفاجأة كبيرة لي، فلم أكن أتوقع أن أرشح لهذا المنصب تحديداً، ولم يدر بخلدي قط هذا الموضوع، فقد كان كل همي التركيز على عملي بجامعة الملك عبدالعزيز التي كنت أدرّس بها وأديرها، لذلك شعرت بشيء من الارتباك والخشية من أبعاد وخطورة المنصب، خصوصا وأنا أتذكر صفوة الرجال الذين سبقوني وكانوا قمما في الإدارة والثقافة والإعلام، وبينهم من كنت على مقربة منه أمثال الشيخ عبدالله بلخير، والشيخ جميل الحجيلان، والشيخ إبراهيم العنقري.

فقد كان الدكتور أحمد محمد علي، أول من أبلغني بخبر تعييني وزيراً للإعلام كما سمعه لتوه من الراديو، والدكتور أحمد كان مدير جامعة الملك عبدالعزيز الأهلية قبل أن أكلف بإدارتها رسمياً.

كانت لحظات مربكة بالنسبة لي، وعندما عدت إلى المنزل فوجئت بأن جميع أفراد الأسرة ليس فيهم من بلغه الخبر، وعند سماعهم لذلك عمتهم الفرحة بهذا التكريم، وسألوا الله لي التوفيق في هذه المهمة الدقيقة، حيث ستكون من أخطر المهام التي قمت بها حتى الآن، كما كنا نتوقع جميعاً.

ظللت أفكر بيني وبين نفسي في طبيعة وأبعاد العمل الذي أنا مقبل عليه، ولم يكن لدي أي معلومات أو وثائق توضح أبعاد العمل أو سياساته أو خصوصياته، فطبيعة العمل

تختلف تماما عن العمل الجامعي وكل الوظائف التعليمية التي عملت فيها من قبل حتى الآن.

وعندما التقيت في المساء بالأصدقاء وبقية الأهل الذين حضروا للمنزل يباركون لي بالمنصب الجديد، لاحظت على وجوههم مزيجاً من السعادة والقلق، السعادة بتعييني وزيراً، مما منحني الكثير من الثقة، وقلقهم من طبيعة العمل بوزارة الإعلام تحديداً، فيما لاحظت شيئاً من الحزن على وجوه بعض الإخوة الذين عملت معهم في الجامعة، فقد كان فراقهم بالنسبة لي مرا خصوصا وقد تعود بعضنا على بعض، وعملنا كأسرة واحدة في جامعة الملك عبدالعزيز، وشاء الله أن تحقق الجامعة بفضل أولئك الرجال خطوات هامة على الصعيد الأكاديمي، وكذلك على الصعيد الثقافي، وعلى التعاون مع الجامعات العربية والأمريكية، كما نجحت الجامعة في ربط المجتمع بها، وكنا نعمل ليل نهار، وقضينا أمتع الأوقات، ولهذا فقد شعرت بحزنهم لهذا الفراق، ولكني وعدتهم بأن أكون على اتصال بهم، بل وأن أواصل التدريس بكلية العلوم قسم الجيولوجيا كما كنت أدرّس الجيولوجيا الاقتصادية معهم من قبل.

الحق أن تلك النقلة جعلت ذهني يزدحم بكثير من التساؤلات والأفكار والهواجس، ولكن ما أراحني هو الشعور بأن الله سبحانه وتعالى ما دام قد اختارني لهذا الأمر، فإنه سبحانه وتعالى سوف يعينني، فصبرت واحتسبت.

ولا شك أن ما أعتز به هو أن هناك مجموعة من القرارات والإنجازات المهمة التي وفقني الله إلى اتخاذها مع أسرة وزارة الاعلام في ذلك الوقت، وخاصة الأخ الدكتور عبدالعزيز خوجة، والأخ إبراهيم القدهي المحمد، اللذين كانا وكيلين للوزارة في ذلك الوقت، ومع بقية الوكلاء المساعدين والمديرين العامين.

عبدالله بلخير ويومي الأول

عندما ذهبت إلى الديوان الملكي أنا وبقية الوزراء الجدد لأداء اليمين، ثم عدت إلى مكتبي وأنا أتدبر الأمر، وأسأل الله اللطف في هذا العمل الجديد، حيث لم تكن لدي خبرة في إدارته، جلست وراء مكتبي أفكر وأتدبر وأسأل الله التوفيق، وإذا بمدير مكتبي السيد الأديب ماجد الحسيني يدخل علي ليخبرني بأن الأستاذ الكبير ووالدنا العزيز معالي الشيخ عبدالله بلخير يرحمه الله وصل إلى المكتب لمقابلتي، وأسرعت أستقبله وأنا فرح به مستبشر بقدومه سعيد بلقائه، فهذا رجل تتلمذنا على يده وقرأنا كتاباته، واستمتعنا بشعره، وهو قامة أدبية رفيعة، ومن أوائل المثقفين الذين درسوا في الجامعة الأمريكية ببيروت باللغة الإنجليزية، وكان يقرأ ويكتب بها، وعمل لسنوات في الشعبة السياسية بديوان الملك عبدالعزيز رحمه الله مترجما، وكانت تلك الشعبة أشبه ما تكون بوزارة الخارجية في ذلك الوقت، وكان يرصد الإذاعات العالمية، ويرفع ملخصاتها إلى الملك عبدالعزيز، فهو من الرعيل الأول الذي عمل مع الملك المؤسس ومن ثم مع الملك سعود بصورة أكثر تحديداً.


عبدالله بلخير كان يعاملني كابن له

وكان أستاذنا الشيخ عبدالله بلخير حضر لقاء الملك عبدالعزيز بالرئيس الأمريكي روزفلت، ولقاءه أيضاً برئيس الوزراء البريطاني تشرشل، وهو رجل نشأ على الفطرة منذ نعومة أظفاره في حضرموت، حيث ولد وحفظ القرآن وتعلم هناك، وكان فيه نبوغ مبكر حصد ثماره في مراحله العملية بعد ذلك، وقد كانت أمنية والده -رحمه الله- أن يكون مدرسا في الحرم المكي.

إنه هامة أدبية عالية ارتجفت وأنا أسلم عليه، وكره أن أقبل يده، لكن سعادتي به كانت عظيمة، فقد حدثني عن الإعلام، وظروف الإعلام ومخاطره وفجواته، ونصحني بأن أتصرف بكل هدوء وروية، وأن أتصل دائما برئيس واحد هو الملك، أُسمعه أول الأخبار، وأستمع إليه، وأستلم منه أول الأوامر، وتحدث معي بإسهاب وبأبوة، حتى اغرورقت عيناي

بالدموع وأنا أودعه، فقد كان أول وزير يعمل في الإعلام، ولم يسمّ الشيخ بلخير وزير الاعلام وإنما سُمِّي مديراً عاماً للإعلام في ذلك الوقت، ولكنه كان يقوم بعمل وزير الإعلام في عهد الملك سعود، فقد كانت وظيفته بمثابة حقيبة وزارية للإعلام، وفي عهده انطلق الإعلام، وخاصة الإذاعة، وأعطي حينها مرتبة وزير مفوض.

وحين عزم على الانصراف، ودعت الرجل وأنا أتذكر أناشيد كنا نرددها ونحن أطفال من شعره:

يا شباب العرب مهلا　　زمن القول تولـــى
وهلال الجد هـلا　　وأتى دور العمـــل
نحن في عصر جديد　　نحن في عصر الحديد
فلنعد ماضي الجدود　　بجهاد وأمـــــل

وكلما قرأت له «ملحمة قرطبة» كنت أشعر بأني أنحني تقديرا لهذا الرجل المفكر والأديب الكبير، وتذكرت نشيده الآخر عن الكشافة، وكنا نردده صباح كل يوم في مدارسنا، فهو قيمة شعرية وأدبية كبيرة، حيث يقول:

شبه الجزيرة موطني وبلادي　　من حضرموت إلى حمى بغدادِ
أشدو بذكراها وأهتف باسمها　　في كل جمع حافل أو نـــاديَ

رحم الله الأستاذ الكبير أبا يعرب، فقد كان أول من لقيت في الإعلام، وهو أول من خفف عني ما جاء بعد ذلك من عناء ومسؤوليات جسام، وأبان لي طريق هذا العمل بخبرته الواسعة فيه.

والحقيقة أن ممارسة المسؤولية الإعلامية كانت بالنسبة لي أقرب إلى «المغامرة»، والقفز في الهواء، والسباحة ضد المجهول، ولاسيما بالنسبة لإنسان قادم من الوسط الأكاديمي ومتشبع به.

لكن شخصية وثقافة وعقلية أستاذ الجامعة انتصرت في النهاية حتى على طبيعة وظيفة وزير الإعلام، وإن كان هذا الانتصار قد كلفني الكثير في النهاية.

مغامرة البيان الأول تمر بسلام

قمت بأداء القسم أمام جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز -يرحمه الله-، وبعد ذلك حضرت مع الوزراء الجدد أول جلسة لمجلس الوزراء. وجدت نفسي بعد انتهاء الجلسة أنتحي جانباً في أحد أرجاء المجلس، وإذا بمعالي الأستاذ عبدالله السلطان أمين عام مجلس الوزراء المساعد، والذي كان يسجل وقائع الجلسة ويتولى تقديم القرارات، يأتي إليّ وهو يقول: لماذا أنت هنا يا دكتور، لقد غادر الجميع المجلس إلا أنت، قلت له: أنا موجود هنا لكي أعد بياناً يوثق جلسة المجلس، ويشتمل على القرارات التي اتخذت به، ويلخص وقائع الجلسة.

نظر الرجل إلي نظرة فيها الكثير من الحب والتعاطف والدهشة في آن معاً، وقال لي: الأمر لا يحتاج إلى ذلك، لأن وقائع الجلسة مسجلة، ونحن سوف نبلغ جلالة الملك بها.

ولم أستسغ ما سمعت، فأنا وزير الإعلام، والمجلس اتخذ قرارات هامة ومن حق المواطنين أن يحيطوا بها.

لكنني لم أجد بداً من المغادرة، لأن جميع من في المجلس غادروه، لا سيما بعد أن شارف النهار على النهاية، ولم يعد في الديوان الملكي سواي.

وعندما غادرت إلى الصالة الخارجية التقيت ببعض الصحفيين، وسألوني عما دار في تلك الجلسة باعتبارها أول جلسة لمجلس الوزراء، ولم أتردد في أن أطلعهم على أهم ما تقرر واتخذ في المجلس، وذهبت إلى بيتي، وأعددت ملخصاً وافياً لتلك الجلسة، وأمرت بإذاعته من خلال الإذاعة والتلفزيون، دون الرجوع لأي أحد، مغلباً بذلك ذهنية أستاذ الجامعة وليس مسؤول الإعلام الذي لا يتحدث ولا يعلق ولا يبدي رأياً أو يكشف عن معلومة.

ولم تمض سوى ساعة على إذاعة تفاصيل ما دار في جلسة المجلس حتى انقلبت الدنيا رأساً على عقب، وجاءتني اتصالات على أعلى مستوى، وكلها تندد بما فعلت، وتتهمني بإفشاء أسرار مجلس الوزراء، وبابتداع سنة غير موجودة، وهي إذاعة تفاصيل وقرارات ومعلومات هامة حتى دون العرض على جلالة الملك وأخذ موافقته المبدئية عليها، وقبل هذا وذاك الاعتراض على مبدأ الإذاعة لتلك القرارات.

لقد حاولت أن أقنع من اتصل بي مسؤولين وأصدقاء ومعارف بأن ما فعلته لا يعدو أن يكون هو حقيقة ما دار وتقرر واتخذ، وأنني لم أضف كلمة واحدة من عندي، لكن أحداً لم يؤيدني على ما فعلت، وقد أدركت بعدها أن مشكلة كبيرة قد وقعت، وأن الموقف سيكون بالنسبة لي في غاية التعقيد والصعوبة، لأنني لا أملك أي مبررات لما أقدمت عليه سوى قناعتي بأن ما فعلته هو في الصالح العام، وأن من حق الناس أن تعرف، كما أن من مصلحة الدولة أن تطلع مواطنيها على ما تقوم به، وبالتالي فإن الإعلان عن تلك القرارات كان -من وجهة نظري- ضرورة حتمية وعليَّ أن أتحمل مسؤولية هذه المغامرة.

ولاحظت زوجتي حالة الارتباك التي أنا بها، وسألتني عما يحدث لا سيما وأن هاتف المنزل لم يهدأ، وبعض الأصدقاء لم يتوقفوا تلك الليلة عن زيارتي والاطمئنان عليَّ، فقد أحسوا بأن ما فعلته لا يطمئن كثيراً، فقلت لزوجتي: يا مريم.. يبدو أننا لن نطوّل في الرياض، وعليك أن تبقي على شنطنا كما هي فلربما نعود إلى جدة غداً.

وقفزت المسكينة من مكانها، وصرخت قائلة: ماذا فعلت يا محمد، هل تراك ارتكبت خطأ، وما هو؟!

قلت لها: خطأ وأي خطأ، وشرحت لها بعض تفاصيل الواقعة. نظرت إليّ بإشفاق وأدارت وجهها إلى الحقائب المرصوصة أمامي في الصالة والتي لم تفتح بعد منذ جئنا من جدة لأداء القسم وهي تحوقل، وتضع يداً بيد، وتردد كلمة «يا ساتر استر».

وفي الصباح الباكر ذهبت إلى الديوان الملكي لأجد أمامي العديد من الوجوه المكفهرة، والمنقبضة، أو المشفقة في آن واحد، غير أن أحداً لم يتحدث معي، وظللت أنتظر إلى أن أُبلغنا بقدوم جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز ومعه سمو ولي العهد آنذاك الأمير فهد بن عبدالعزيز وسمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز النائب الثاني ورئيس الحرس الوطني، وتقدمت للسلام على جلالته وأنا في غاية القلق، وبين شفتي كلمة «اعتذار» لكن الملك خالد استقبلني بأبوة خالصة وقال لي ممازحاً:

إيش اللي سويته يا محمد في الإذاعة والتلفزيون أمس؟

وهممت بالرد والاعتذار، لكنه سبقني قائلاً:

تراك أحسنت بما فعلت.

وتنفست الصعداء، ولم يسعني الموقف من الفرحة، وأنا أتجول بعيني في كل الوجوه المحيطة بالملك، لأجد علامات الرضى وقد حلت محل الكثير من بعض مظاهر الاستياء واللوم التي كانت بادية على وجوههم قبل قليل.

ومنذ ذلك اليوم أصبحت تفاصيل جلسات مجلس الوزراء تذاع على الناس بكامل تفاصيلها حتى اليوم، وأصبح غير المألوف مألوفاً، وأصبحت وزارة الإعلام تقول شيئاً مفيداً عزز صلة الدولة بالناس وثقتهم في خططها وبرامجها وسياساتها وتوجهاتها، وأصبح هناك ما يحرصون على سماعه ومتابعته كل يوم اثنين.

إن روح المبادرة والجرأة في اتخاذ القرار لا ترقى في كل الأحيان إلى مستوى المغامرة، بل على العكس من ذلك، فإنها قد تفتح الكثير من الأبواب المغلقة، وتحرر الإنسان من بعض الأعراف أو المفاهيم أو القناعات الضيقة، وتتيح الفرصة لأنماط جديدة من التفكير، أو السلوك، أو الأفعال بأن تصحح ما كان خطأ أو تحرك ما هو راكد، أو تضيف جديداً، وتحقق نفعاً كثيراً في نفس الوقت.

وبالرغم من أن جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز كان عزوفاً عن الناحية الإعلامية، إلا أنني كنت أحد أقرب الناس إليه بشخصي وليس بمنصبي في تلك الفترة، لما عرف عنه



كنت أقرب إلى الملك خالد رحمه الله بشخصي لا بمنصبي

من صفاء، ومن أُبوة صادقة في تعامله مع إخوانه ووزرائه وكل من حوله، لكنه كان لا يحب الدعاية، وإذا جاءه من يطلب منه رأياً أو تعليقاً على مشروع أو في أي مناسبة كان يتجنب الحديث مع الجميع ويقول لهم «أنتم عندكم إذاعة وتلفزيون وتستطيعون أن تأخذوا منها ما تشاءون، أما أنا فليس عندي ما أقوله لكم».

وإذا وفد إلى المملكة إعلاميون كبار وحاولوا التحدث معه كان يكتفي بالقول «أنتم تحملون كلمة الحق، وسوف تسألون عما تكتبون أمام الله في كل ما يمكن أن يلحق بالإنسان من ظلم أو ضيم أو قصور».

والحقيقة أن الملك لم يكن زاهداً في الإعلام والدعاية فحسب، ولكنه كان زاهداً في الحياة كلها، لكنه مع كل هذا لم يكن يبخل على الإعلام بالدعم والمؤازرة والتشجيع، وبالتغاضي عن الكثير من الأخطاء التي كان يقع فيها الإعلام الرسمي والإعلام الأهلي.



الملك خالد كان يعزف عن الإعلام والدعاية كثيرا

رؤساء التحرير برفقة الملك

لكن الموقف الصعب الآخر الذي وقع لي في وزارة الإعلام، ولا يمكن أن أنساه أو ينساه معي الإخوة والزملاء والأصدقاء من رؤساء التحرير هو أن الديوان الملكي أبلغوني بنية الملك في السفر إلى إحدى الدول الخارجية، وطلبوا مني موافاتهم بأسماء المرافقين لجلالته من الإعلاميين، فوجدتها فرصة لكي أدعو للمرة الأولى عدداً من رؤساء تحرير الصحف المحلية للسفر معنا ضمن الوفد المرافق للملك وكان عددهم ثمانية رؤساء تحرير، وأبلغتهم بموعد وجودهم في المطار، وفي نيتي أن ألحقهم بطائرة الملك وأن أعطيهم الفرصة لكي يشاركوا في متابعة وقائع الزيارة، ويحتكوا بنظرائهم من رؤساء تحرير الصحف في الدولة المضيفة، ويتصلوا بالمسؤولين فيها، ويكونوا قريبين من الوفد الرسمي المشارك في هذه الزيارة.

وعندما وصلت إلى المطار استعداداً للمغادرة، وجدتهم جميعاً وقد سبقوني إلى الصالة الملكية، وأخذت أرتب لهم مع معالي السيد أحمد عبدالوهاب رئيس المراسم الملكية مسألة الصعود إلى الطائرة، وإجراءات الانضمام للوفد المرافق، ولكنه صعق وهو يستمع إليّ، وأسقط في يده وقال لي بنبرة غير مألوفة:



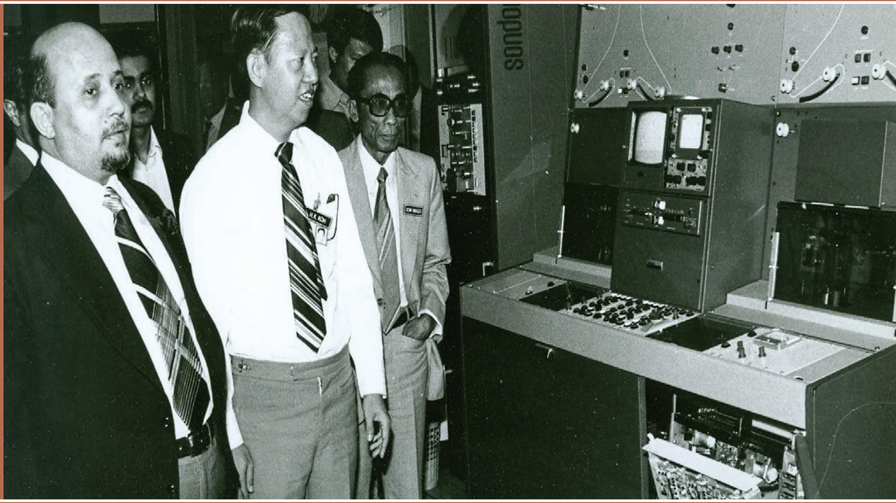
همست في أذن الملك فهد فأدرك مدى الحرج الذي واجهته عند اصطحاب رؤساء

«يا معالي الوزير نحن لم نتعود أن نصطحب أحداً معنا في الزيارات الملكية، ولذلك فإنه لا مكان لهم في الرحلة وبالتحديد على طائرة الملك».

لقد كان الموقف صعباً، لم أجد معه سوى التوجه إلى سمو ولي العهد آنذاك الأمير فهد بن عبدالعزيز وأبلغته بحقيقة الموقف، فاستغرب تصرفي، وقال «يا محمد هذه الأمور والقرارات لا تتم في المطار، كان يجب الترتيب لها من قبل»، وقلت له: يا سمو الأمير، هذا ما حدث وليس غيرك من يعالجه، فأدرك بألمحيته مدى الحرج الذي أواجهه، والرغبة الصادقة في إتمام العملية بنجاح، فما كان منه إلا أن أشار عليَّ بأن أتجه مباشرة إلى الملك خالد وأطلب موافقته على اصطحاب الزملاء رؤساء التحرير معه، وانطلقت بسرعة إلى جلالة الملك خالد، فضحك وهو يستمع إليّ ويلاحظ شعوري بالحرج الشديد لما تسببت فيه من إرباك، والتفت -يرحمه الله- إلى رئيس المراسم الملكية السيد أحمد عبدالوهاب وقال له «خلوهم يركبون معنا في الطيارة، ولا بأس من وجودهم معنا في المستقبل أيضاً".

وانفرجت أساريري وأنا أجتاز الاختبار الثاني بنجاح، وأواصل مبادراتي ولا أقول مغامراتي في هذا الحقل الشائك والمحاط بأسوار وبأنظمة بروتوكولية لم آلفها أو أعتد عليها في حياتي الأكاديمية من قبل.

وفي منتصف الرحلة، جاء إليَّ السيد أحمد عبدالوهاب وهو يضحك من أعمق أعماقه، وهو يقول لي «ما تبغى تبطل إحراجاتك المتكررة لنا يا دكتور».



تطوير الإعلام بأحدث تقنياته كان هاجسنا الأول

قلت له: ولكنكم أنتم الذين طلبتم منا تشكيل وفد إعلامي!
ضحك السيد وهو يقول: الوفد الذي قصدناه هو مذيع ومصور من التلفزيون فقط، وهم الذين اعتدنا أن يكونوا معنا.
وضحكنا ونحن نقترب من بعضنا شيئاً فشيئاً، فقد أدرك السيد أنهم يواجهون «ورطة» حقيقية مع وزير يتصرف على نحو غير مألوف وخارج دائرة قواعد العمل المعتادة في الوزارة، التي كانت تعرف بوزارة الصمت. ومنذ ذلك الوقت ورؤساء التحرير لم يتخلفوا عن أي رحلة ملكية قام بها الملك خالد والملك فهد من بعده، وكذلك الملك عبدالله وسمو ولي العهد الأمير سلطان بن عبدالعزيز، وأصبح لوجودهم دور بارز ليس في تغطية تلك الزيارات، وإنما في توسيع دائرة التعارف بينهم وبين المسؤولين ورجال الإعلام في البلدان الأخرى، وقامت بينهم صداقات وتبادلوا معهم الزيارات بصورة مباشرة أيضاً.
وأحمد الله سبحانه وتعالى أن أصبحت هذه هي القاعدة الآن، وأصبح رؤساء التحرير في مقدمة من يستقلون الطائرة الملكية، ويشاركون في تغطية رحلات الملك وسمو ولي العهد، ويقدمون لنا أنماطاً مختلفة من ألوان الحياة وطبائع التفكير والثقافة والتوجهات السائدة في المجتمعات الأخرى، وينقلون صورة غير مسبوقة عن تلك الدول والشعوب إلينا، ويقربون بيننا وبينهم، نتيجة تواصلهم المستمر معهم، وبنائهم لعلاقات شخصية ممتازة مع مثقفي تلك الدول وشعوبها ومسؤوليها على حد سواء.

مآزق صحفية لا تنتهي

لكن حكايتي مع الصحافة ورجالها امتدت وتداخلت لتشهد صوراً مختلفة من الشد والجذب، ولعلي أذكر هنا بعض المواقف التي عشتها مع رجال الصحافة.

فقد كتب الأستاذ إياد مدني -وكان يعمل مديراً عاماً لمؤسسة عكاظ الصحفية- مقالاً في صحيفة عكاظ تعرَّض فيه لمجلس الشورى ببعض الملاحظات، وطالب فيه بإعادة تشكيله بصورة أوسع وإعطائه دوراً أكبر، وكانت لغة المقال شديدة.

وصدر أمر للجهات الأمنية للتحفظ عليه وأبلغت بذلك، فاتصلت به تلفونيا وطلبت منه مغادرة المملكة بسرعة ريثما أتدبر الأمر، وذهبت إلى الأمير فهد الذي كان كريما وتفهم الوضع، وعفا عنه بعد ذلك.

ثم كانت الحادثة الثانية مع الأستاذ رضا لاري رئيس تحرير عكاظ عندما تعرض في إحدى مقالاته للسياسة الخارجية، وأعفي من رئاسة تحرير عكاظ، وغضب الأستاذ رضا لاري لأنه ظن أن هذا الأمر تم من الوزارة، واتصل بالأخ عبدالعزيز خوجة محتجا، لكن الدكتور خوجة بحصافته لطف الموضوع وألمح إلى السبب بطريقة لطيفة، فقال للأستاذ رضا لاري: لقد تسلمت استقالتك وتم قبولها، فقال رضا: أنا لم أقدم أي استقالة، فرد



حديث مع رضا لاري ومجموعة من الإعلاميين



عبدالعزيز خوجة في ذلك الوقت كان وكيلاً لوزارة الإعلام وكان يعينني على الخروج من المآزق التي تعترض الصحفيين

عليه الدكتور خوجة: إن الاستقالة عندي وفي مكتبي، وأنهى المكالمة معه، وبعدها تفهم الأخ رضا الموقف.

كما حدث بعدها موقف آخر مع الأخ تركي السديري رئيس تحرير جريدة الرياض، فقد اختلفنا في موضوع اضطررت فيه لاتخاذ قرار بشأنه، فغضب ونشر مقالاً بعنوان وزارة النفي والتكذيب، وهاجم فيه الوزارة، وفي نهاية الأمر تمت معالجة الخلاف وظلت تربطني بالرجل علاقات طيبة حتى اليوم.

خالد المالك وقصيدة القصيبي

كذلك الأخ الأستاذ خالد المالك رئيس تحرير الجزيرة، الذي نشر قصيدة للدكتور غازي القصيبي أدت إلى إعفائه من رئاسة تحرير الجزيرة، كما أدت إلى إعفاء الدكتور غازي القصيبي بعد ذلك من منصبه كوزير، وكانت من أشد المواقف التي مرت بنا.

عندما أتذكر حياتنا في الإعلام أُحس بأن العملية الإعلامية عندنا تحتاج إلى مزيد من التنظيم، وتحديد صلاحيات لكل الجهات الإعلامية داخل الوزارة وخارجها، ثم الاتفاق على سقف للحرية يحمي الوزارة والعاملين فيها ورجال الإعلام ورجال الصحافة والأدب من مآزقها وتبعاتها، ويوجد نوعاً من التفاهم بين الإعلام والمؤسسات الدينية، ويوفر درجة من المرونة للعاملين في هذه المجالات تحميهم من ردات الفعل العنيفة.

ومن حسن الحظ أنني بدأت ألاحظ التغييرات التي أدخلها الأخ العزيز الدكتور عبدالعزيز خوجة في وزارة الإعلام منذ جاء إليها عام 1430، ومساحة الحرية التي استطاع أن يوفرها بالتعاون مع الجهات المسؤولة وبتوجيهات الدولة في هذا المجال.

التلفزيون.. وموقف المشايخ منه

لكنني حقيقة عندما أتكلم عن التلفزيون في ذلك الوقت، فإنني أتذكر مواقف صعبة، فقد كانت إمكاناته محدودة، وقدراتنا على إيصال البث إلى مناطق المملكة ضعيفة، فضلا عن إيصال البث إلى خارج المملكة، فقد كنا نسعى إلى إنشاء محطة إرسال في كل منطقة من مناطق المملكة، وكان هناك رجل من أنشط الرجال في الوزارة قدم خدمات كثيرة في مجال الهندسة في وزارة الإعلام، وهو الأستاذ المهندس عبدالمحسن السويلم، وكان مهندساً ناجحاً وإدارياً متميزاً وصاحب أمانة وخلق.

ولم تكن الصحافة هي الهم الوحيد الذي عانيت منه، وإنما كان التلفزيون هو الأشد معاناة، وفي عملي وزيراً للإعلام كانت هناك علاقات خاصة بالعلماء لأنهم يهتمون بما يذاع وما ينشر، وكانت تأتيني معاتبات كثيرة خاصة من بعض المشايخ، وفي مقدمتهم مفتي المملكة آنذاك الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، فقد كان يتابع الإذاعة ويكتب لي، وقد عتب علي عندما جعلنا مذيعة تقرأ الأخبار في الإذاعة، وكذلك كتب لي عدد من المشايخ منهم الشيخ عبدالعزيز المسند والشيخ سليمان بن عبيد عن موضوع المسلسلات التلفزيونية، وأنهم لا يقبلون استمرار ظهور المرأة فيها، وأخبرتهم أن من الصعب أن نجد مسلسلات لتسلية الناس بدون أن يكون فيها نساء، ونحن ليس لدينا القدرة على إنتاج مثل هذه المسلسلات والأفلام، وكان الأمر محل أخذ ورد بيني وبينهم، وشاء الله أن الملك خالد -رحمه الله- كان يساعدني في إقناعهم والرد عليهم، وكانوا يكنون له حباً كبيراً



لم تكن الصحافة هي الهم الوحيد وإنما كان التلفزيون هو الأشد معاناة

ويحترمون آراءه، ولكنهم مع ذلك قاموا بتحرير خطاب لجلالته رحمه الله، وفي هذا الخطاب طالبوا بإخراجي من الإعلام لأن التلفزيون نشر مسلسلاً يدعو إلى الترويج لحزب البعث، وكان اسم المسلسل «في أعماق الرغبة» .

ولحرص الملك خالد -رحمه الله- على حمايتي وتبرئتي، فقد دعاني صباح ذات يوم إلى منزله، ودعا مجموعة من العلماء، وطلب منهم أن يذكروا أمامه كل الأخطاء التي يعلمونها في الإعلام، والتي يرغبون في تصحيحها، وقال لهم بالحرف الواحد «أنا أحضرت وزير الإعلام هنا عندي أمامكم فوضحوا لي ما ترونه من أخطاء وأنا أجعله يصححها أو أؤدبه بعصاي هذه، لأن هذا ولد من أولادي وأنا أعرف أن نيته صالحة»، فاشتكى المشايخ من مسلسل «في أعماق الرغبة» وأنه يدعو للترويج لحزب البعث، وكان هذا المسلسل بجميع حلقاته مصورا في بغداد في أيام كان فيها حزب البعث في ذروته، فكان خلف الممثلين في الديكور لوحات مكتوب فيها «البعث حياتنا»، «البعث إنقاذ الأمة»، «البعث الطريق الصحيح»، وهي لوحات تعلق في سائر العراق في ذلك الوقت، ولكن المسلسل كان بعيداً كل البعد عن الدعاية للبعث، وقد شرحت للمشايخ أهمية المسلسل من الناحية الأخلاقية، وأنه يدعو إلى احترام الأسرة وتقدير الأبوين، وعندما شرحت كل ذلك لهم أمام الملك اقتنع المشايخ، وسألوني عن بعض الأغاني التي طلبوا ألا تذاع، فوعدتهم بالأمر بإيقاف إذاعتها.

ولعلي أتذكر في هذا المقام، خطاب سماحة مفتي المملكة الشيخ عبدالعزيز بن باز في ذلك الوقت الموجه إليّ ونصه على النحو التالي:

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم معالي وزير الإعلام وفقه الله لما

فيه رضاه..

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فقد كلفت الإذاعة منذ أيام قليلة إحدى النساء بقراءة الأخبار الرسمية في الإذاعة، وقد استغربت وكثير من الإخوان هذا الحدث الذي ليس له ما يبرره إلا التقليد الأعمى لبلاد خرجت عن أوامر الله ونبذت كتابه الكريم ودينه القويم وراء ظهرها.. ولا يخفى معاليكم ما في ذلك من الأضرار والمخالفات الشرعية التي منها الخلوة والاختلاط من المرأة بالرجال الأجانب وتشجيع النساء على التطلع لمثل هذه الوظائف المفضية إلى فساد الأخلاق وانتهاك الأعراض.

فأرجو الأمر بمنع هذه البادرة السيئة والاقتصار على الرجال في تقديم الأخبار والأحاديث وغيرهما من البرامج والحذر من التقليد الضار لأعداء الله..

رزقنا الله وإياكم التوفيق للعمل الصالح وجنبنا طرق الخطأ والضلال إنه سميع قريب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

كان الموقف -كما ترون- غاية في الدقة والحساسية، فنحن في الوزارة لا ننظر إلى اختيار مذيع نشرة الأخبار على أساس أنه رجل أو امرأة، وإنما على أساس توافر المقدرة الصوتية، والتأثير المطلوب في المستمع وإعطاء الأبعاد الكلية للخبر، وقد وجدت شخصياً كل هذه الصفات المهنية متوافرة في بعض السيدات الفضليات اللاتي يعملن معنا في الإذاعة، فلم أتردد في الدفع بهن إلى ميكروفون الأخبار، وقد صادف ذلك قبولاً كبيراً لدى المستمعين من كل المستويات.

ولذلك فإن خطاب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز كان بالنسبة لنا في الوزارة محل مداولة واهتمام، وقد سعيت لمقابلة سماحته وأوضحت له وجهة نظرنا في هذا الأمر، وطمأنته إلى أنه لا يوجد أي نوع من «الخلوة» بالنساء العاملات في الإذاعة أو التلفزيون، وأن دخول المذيعة إلى الاستديو وأداءها مهمتها فيه يتم بصورة مستقلة، وأن هناك فاصلاً زجاجياً يفصل بين استديو الأخبار وبين غرف المخرجين والمنفذين، وأن كلا منهم يؤدي عمله بعيداً عن الآخر، وأن أحكام الشريعة وثوابتها مكفولة لدينا إن شاء الله سواء في نشرة الأخبار أو سواها.

وقد استمرت التجربة بعد ذلك -على مضض- وإن كنا قد واجهنا الكثير من الاعتراض في أوقات مختلفة، لكن المسيرة تواصلت وأصبحنا اليوم نجد الأخوات في مقدمة الصفوف، بل ويدرن إذاعة البرنامج الثاني في إذاعة جدة كالأستاذة دلال عزيز ضياء، وكذلك يدرن قناة أجيال التلفزيونية، ويشاركن في البرامج واللقاءات الحوارية، ووفقهن



كنا نطمئن المشايخ أن الإعلاميات كن يعملن في الوزارة وفق أحكام الشريعة وضوابطها

الله لتحقيق نجاحات كبيرة خلف الشاشة والميكروفون، وأثبتن جدارتهن بكل اقتدار، وبما يثبت أن مجتمعنا يتحرك أماماً، وأنه يشهد تحولات كبيرة، منذ أن أصدر الملك سعود -رحمه الله- أمراً ملكيا بتأسيس مدارس البنات، وكذلك أمر جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز بتأسيس التلفزيون السعودي، وأوامر الملك عبدالله بن عبدالعزيز بتعيين مديرة لأول جامعة نسائية سعودية والسيدة نورة الفايز لتكون أول نائبة وزير بوزارة التربية والتعليم، ومنح الدكتورة العالمة الفاضلة خولة الكريع وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى لتفوقها العلمي الباهر، ولا أستبعد أن تصبح إحدى سيداتنا الفضليات في يوم من الأيام وزيرة للثقافة والإعلام وغيرها من الوزارات الأخرى، بعد أن تجاوز المجتمع الآن حالة الخوف والتشوش والتداخل في الأفكار والمواقف والقناعات، وأصبحنا نشهد في المملكة صرحاً علمياً عظيماً مثل جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية كمحضن للعقول الخلاقة والمبدعة والمبتكرة بصرف النظر عن جنسها أو جنسيتها أو ديانتها، في ظل التوجه الحميد نحو عالمية التفكير، وإنسانيته.

علاقتي بالأمراء والوزراء



كان الملك فهد يتابع الإعلام ويتأثر من تدخل البعض في شؤونه

ولم تكن علاقتي بالأمراء والوزراء أخف وطأة، وكان في مقدمة الجميع اهتماماً بالإعلام ودفاعاً عنه سمو ولي العهد آنذاك الأمير فهد بن عبدالعزيز رحمه الله، الذي كان يتابع التلفزيون والإذاعة وما ينشر في الصحافة، وكان يتأثر أحياناً من التدخل في سياسة الدولة، وقد صدرت الأوامر بإيقاف بعض الصحفيين ومنهم الأستاذ رضا لاري، والدكتور عبدالله مناع، وإياد مدني، وتركي السديري -كما أسلفت- وباتصالي بسموه وبسمو وزير الداخلية استطعت حل هذه القضايا وتسوية أوضاعهم، وعملت على إصدار تنظيم جديد يحميهم من عدم تكرار ذلك، مقابل التزامهم، لاسيما أن بعض الأخطاء الصحفية كانت من محررين صغار في حق بعض الوزراء الذين كانوا يغضبون غضبا شديدا من انتقاد عمل وزاراتهم، والبعض الآخر كان يتطلع إلى النشر عن أنشطته وتحركاته، وكان هذا أمراً صعباً بالنسبة للصحافة، فيما كان الوزراء يرون أن في ذلك إهمالاً من جانب الصحافة، ويكتبون لي غاضبين محتجين، وأنا أحاول تهدئتهم وإيضاح طبيعة مهمة الزملاء الصحفية، ونظرتهم إلى ما ينشر وما لا ينشر في صحفهم من الناحية المهنية.

ومن أخطر الأمور التي عانيتها هي أن بعض كبار رجالات الدولة لم يكن يُحبّذ ظهورهم في التلفزيون في مناسبات كانوا يقيمونها ويحرصون على نشرها، وكنا نقع في إحراجات شديدة، ولكن كان لجهود وكيل الوزارة آنذاك الدكتور عبدالعزيز خوجة أدوار ممتازة في التخلص من كثير من هذه المواقف خاصة مع كبار المسؤولين.

مداهمة الإذاعة من قبل بعض المجتهدين

استمر الوضع على هذا النحو، وحدثت معنا بعض المشاكل التي جاءت نتيجة لاجتهادات بعض المذيعين فعندما كان المذيع الأستاذ محمد الشعلان -رحمه الله- ينقل صلاة الجمعة من الجامع الكبير في الرياض لم تكن لدينا وسيلة للنقل إلا عن طريق الأسلاك الممتدة، وفي اللحظة التي كان يتكلم فيها عن قرب الأذان لصلاة الجمعة انقطعت الأسلاك، فكان عليه أن يتصرف -كما يحدث في مثل هذه المواقف- ووضع هو ومهندس الفترة شريطاً مسجلاً للأذان لمعالجة الموقف ريثما يتم إصلاح الخلل، وكانت المفاجأة أن الأذان الذي وضعه كان أذان الفجر، وفوجئوا في مبنى الإذاعة بعد صلاة الجمعة بحضور مجموعة من الشباب المتحمس، تطالب بالدخول للاستديو لمعاقبة المذيع، واتصلوا بي في المنزل واتصلت مباشرة بسماحة المفتي، وأخبرته بالحادثة، وسبب وضع أذان الفجر بالخطأ لأنه تسجيل، وتفهم الرجل، وطلب الشباب وأفهمهم وعالجنا المسألة بعد أن كاد يحدث صدام بين هؤلاء الشباب ورجال الحرس الوطني، الذين كانوا يقفون عند مداخل أبواب الإذاعة لحراستها.

الأمير سلمان وحمايته للوزارة

تكرر الحادث نفسه ذات مرة عندما طلب ضابط من ضباط الحرس الوطني أن يعمل إعلان عن جندي من جنودهم كان يمر في الشارع ووجد حقيبة ملقاة ففتحها ووجدها مليئة بالنقود، وعندما فتشها وجد فيها اسم صاحبها وأعادها إليه، وقال إنهم يرغبون في وضع هذا الخبر في التلفزيون، ولم يوافق مدير التلفزيون وغضبوا غضبا شديداً، وهدد أحد الضباط باقتحام المحطة، ولكن الشيخ عبدالعزيز التويجري نائب رئيس الحرس المساعد آنذاك -رحمه الله- حال دون وقوع المكروه، وتمكن من إنهاء المشكلة، ولكني فوجئت في نفس اللحظة باتصال من الأمير سلمان بن عبدالعزيز يسأل عن الموضوع نفسه ويطمئنني أن لا أقلق، وأن الأمور تحت السيطرة، وشكرته على ذلك، وأحسست أن هناك متابعة من جميع الجهات، ولقيته في اليوم التالي في مناسبة ثقافية فتبسم وهو يقول لي: الحمد لله حميناكم البارحة من اقتحام الوزارة. وكانت ملاطفة منه وقلت له «يا طويل العمر احنا كلنا في الدبرة».

هذه نماذج مما كان يحدث أيام عملي في وزارة الإعلام من شكاوى وإشكالات، حتى إن بعض الوزراء كانوا يشكوننا إلى سمو ولي العهد، ولكنه كان يتفهم موقفنا وأننا لا نستطيع إذاعة كل ما يُطلب منا لاسيما أن بعض من اشتكونا من الوزراء لا يعرفون أن المنع أساسا كان بأمر من الديوان الملكي أو من مكتب ولي العهد، وليس من حقهم أن

أطلعهم على مصدر الأمر وكنت أتحمل أنا المسؤولية.
ومن أصعب الأمور التي مررنا بها، موجة التكذيب والنفي، فقد كانت تصدر أوامر بنفي بعض الأخبار أو تكذيبها، وأخطرها ما كان يصدر من تصريحات من بعض كبار الوزراء بالخارجية والبترول والتخطيط، فيغضب هؤلاء الوزراء ويتحدثون إلي بلهجات غاضبة، وأنا أبتسم ولا أستطيع أن أخبرهم بأن النفي أو التكذيب كان بأمر أصحاب القرار، خاصة في قضايا السياسة الخارجية وعلاقاتنا بدول العالم الأخرى، وكذلك بقضايا البترول وأسعار البترول، واستخدام البترول كسلاح، وهي نماذج مما كان يمر بنا مع المسؤولين في ذلك الوقت، لأنها وزارة حساسة، وبعض الذين كانوا يحتجون علينا يعرفون في أعماقهم مصادر المنع ولكنهم يتجاهلونها.

قصة الإعفاء من الوزارة

أما عن نهاية عملي في الوزارة وصدور المرسوم الملكي بإعفائي فلم يكن الأمر مفاجئاً بالنسبة لي، فقد كنت أتوقع ذلك بعد وفاة الملك خالد -رحمه الله- ومع ذلك بقيت فترة تزيد على عام في الوزارة وحدث ما لم يكن في الحسبان، إذ نشرت صحيفة السياسة الكويتية مقابلة صحفية مع الأمير عبدالله وكان ولياً للعهد ونائباً لرئيس مجلس الوزراء ورئيساً للحرس الوطني، وكانت مقابلة شفافة وتعرضت لكثير من قضايا الدولة والتنظيم وإعادة الهيكلة، وكانت قد كتبت بأسلوب صحفي وأدبي مثير، واضطررنا في الوزارة للحيلولة دون توزيع العدد عندما علمنا عن محتوى المقابلة، ولكن الذي حدث أن هناك من وشى بي عند الأمير عبدالله بأنني عازم على تكذيب المقابلة، وأنها نسبت خطأ إلى سموه، وغضب الأمير عبدالله غضباً شديداً، وتحملته لاحترامي للرجل وللعلاقة المتميزة التي كانت تربطه بالملك خالد، حيث كنا نجلس سوياً معه في الصحراء، وفي القصر الملكي، وكان قريبا جدا من الملك خالد، ثم كانت المفاجأة الأخرى أن وشى بي بعض الناس عند الملك فهد أيضاً وكان خارج الرياض، بأنني أنا الذي كنت خلف هذه المقابلة، وأنا الذي كتبتها، وهذا أسلوبي.
وقد تم تصعيد الأمر إلى درجة أغضبت الملك فهد، وطلب من الشيخ محمد النويصر أن أكذب كل ما جاء في المادة المنشورة، وأن يفهمني بأنه يعرف أنني أنا الذي كتبتها، وصار الموقف محرجا وخطيرا، ورأيت عدم تكذيب المقابلة، وقلت لمعالي الشيخ محمد النويصر: إن هذا الأمر سوف يحدث فتنة لا مبرر لها، ولم أخبره بغضب الأمير عبدالله الذي علمته من الشيخ عبدالعزيز التويجري قبل لقائي بسموه، ونفيت فيه أني سوف أكذب المقابلة، ولكن الوضع توتر توترا شديدا، والملك كان يطلب تكذيب المقابلة، وأنا أحاول تهدئة الموقف والأمير عبدالله من الناحية الأخرى كان يشعر بأنني سوف أكذب المقابلة وكل ما جاء فيها.

انتهى الأمر إلى أنني ذهبت إلى الشيخ محمد النويصر وسلمته خطاباً للملك فهد أوضحت فيه أنه ليس من المصلحة بأي شكل من الأشكال إصدار تكذيب من شأنه أن يحدث فتنة بالغة الآثار، وأن هذا الأمر يمكن نسيانه وعدم توزيع الصحيفة وهذا يكفي، بدلا من إحداث فتنة لن تكون في مصلحة الوطن، ومع ذلك رفض الملك فهد وأصر على التكذيب، واعتذرت من جانبي عن ذلك، ثم حدث أن طلب مني الأمير عبدالله الحضور إلى منزله في طريق خريص، ووجدت عنده الشيخ عبدالعزيز التويجري -رحمه الله- وقال لي: كيف تكذبني وتكذب حديثي وهو حديث من القلب وما قصدت منه إلا الإخلاص والنصيحة، فأبديت استغرابي بصورة فاجأته بأنني لم أسمع عن هذا التكذيب ولم يأمرني الملك، وأن هذه كلها وشايات تريد أن تحدث فتنة بينهما، فاستغرب الأمير عبدالله وهدأ قليلاً وكادت تنتهي المشكلة على خير، لولا أن التلفون رن في ذلك الوقت فرد عليه الشيخ عبدالعزيز التويجري، وقال لي التويجري بصوت منخفض: يا دكتور يماني جلالة الملك على الخط يريد أن يكلمك، فأدركت أنه سأل عني في الوزارة فأخبروه بأنني عند الأمير عبدالله في منزله، مما أكد للملك فهد -بكل أسف- أنني أنا فعلاً وراء هذه المقابلة، وأنني الذي كتبتها ولهذا امتنعت عن تكذيبها.



الملك فهد والملك عبدالله أدركا فيما بعد أنه لا صلة لي بما نشرته جريدة السياسة الكويتية

تصاعد الموقف وتأزم، وكانت مفاجأة للأمير عبدالله أن اتصل الملك بي هناك، وطلبت من الشيخ عبدالعزيز التويجري أن يبحث لي عن غرفة بها تلفون لأتحدث مع الملك فهد تجنباً لحدوث أي مضاعفات للموضوع، وفعلا دخلت إلى غرفة جانبية وبدأت الحديث مع الملك فهد الذي كان غاضباً ومحتجا ومحتدا وقال: لماذا لم تنشر الخبر الذي أبلغك به رئيس الديوان الملكي الشيخ محمد النويصر، فقلت له: يا جلالة الملك، لم يبلغني الشيخ

محمد النويصر أي خبر، وإنما طلب تكذيب حديث ولي العهد الأمير عبدالله الذي نشرته جريدة السياسة، وهذا الأمر ليس من اختصاصي، لأنه يختص بالديوان الملكي، ولا أستطيع أن أنشر أي خبر عنكم أو عن ولي العهد إلا بأمر يصدر مكتوباً من الديوان وباسم الديوان وليس باسمي، فقال الملك فهد في غضب شديد: إذا أمرنا بأمر عليكم أن تنفذوه في الحال، فقلت له: يا طويل العمر هذا الأمر صعب، وأنا لا أستطيع أن أفعل مثل هذه الأمور التي تحدث فتنة لا مبرر لها، فاشتد غضبه وكأنه يوجه الاتهام لي قائلاً: الذي أحدث الفتنة هو الذي كتب هذا الكلام، وأنا أعرف من كتبه، فقلت له: صدقني لا أعرف من كتبه، ورفض رفضا شديدا، وتكلم بكلمات حادة وبعضها جارح، وظل معي أكثر من نصف ساعة ونحن في جدال على الموضوع، وأنا أمتنع عن التصحيح، لأنه كان من الخطأ تكذيب مضامين المقابلة.

انتهت المكالمة، وعندما خرجت لاحظت الارتياح على وجه ولي العهد وعلى الشيخ عبدالعزيز التويجري، وأدركت أنهما كانا يستمعان للمكالمة، وأدركا أني مظلوم في هذه القضية، وأن الملك يظن أنني كتبت هذه المقابلة، وأنني الذي روجت لنشرها، وعندها سلمت عليهما وانصرفت وأنا في غاية الألم، ولكن أيضا في منتهى الاعتزاز، لأني لم أقم بتكذيب المقابلة، وجنبت الجميع ما كان يمكن أن يحدث من فتنة وخلافات.

وعندما عدت إلى الوزارة اجتمعت بالإخوة د. عبدالعزيز خوجة وإبراهيم القدهي وأخبرتهم بأن الأمر قد وصل حداً خطيراً، وأنني أتوقع الإعفاء في أي لحظة وعليهم ترتيب الوضع حتى تسير الأمور على خير ما يرام، وعم جو من الأسف والقلق، ولكنه الإعلام وبلايا الإعلام ورزاياه، وبعد ساعات اتصل بي الشيخ محمد النويصر بالفعل وأخبرني بقرار الملك بإعفائي، فرحبت بالقرار وقلت له: أخبروا جلالة الملك أن وزارة الإعلام ليست كأي وزارة، فهناك أمور لا بد من تنظيمها وتسليمها للوزير الجديد، فإن رغب أن أعلن الخبر الآن أم أنتظر حتى المساء ريثما أرتب موضوع الوزارة وتسليم الأوراق للوزير الذي سيخلفني، وسألته عن اسم الوزير فقال لي: لا نعرف حتى الآن، وانتهت المكالمة، ثم أذعنا القرار في المساء وقرار تعيين معالي الأستاذ علي الشاعر وزيراً للإعلام، وأحمد الله أن الحقيقة وضحت أمام الملك فهد بعد ذلك، وظل يعاملني كأخ وبنبل شديد، وعرض عليّ أن أختار أي وزارة أو سفارة، لكنني اعتذرت بداعي تقدم العمر واعتلال الصحة، وآثرت البعد عن المتاعب والهموم.

وقد ظلت علاقتي بمعالي الأخ الأستاذ علي الشاعر على ما يرام إلى يومنا هذا، فقد عرفته منذ كنت طالباً في جامعة الملك سعود، وهو رئيس الكلية الحربية بشارع المطار، عندما استعرنا منه جهاز ميكروسكوب كما ذكرت ذلك في بداية هذه المذكرات بطلب من عميد الكلية الدكتور رضا عبيد في ذلك الوقت.

ولقد أسفت لتأخرنا في تنفيذ بعض المشروعات الإعلامية التي كنا عازمين على تنفيذها وهي القناة التلفزيونية الثانية، وكان الدكتور صالح بن ناصر حينئذ وكيل الوزارة المساعد

قد طلب تأجيلها فلم تنفذ، ولكن الحمد لله أنها نفذت في عهد الأخ الأستاذ علي الشاعر، ولقد كان لمبنى التلفزيون الجديد وتجهيزاته الحديثة دور كبير في توفير الخدمات والإمكانات للإعلام قبل مغادرتي، حيث وفقنا في شركة صممته ثم نفذته، وكان وما زال من أجمل المباني في مدينة الرياض.

اتخاذ القرارات وأهم الإنجازات

كانت جميع القرارات التي أتخذها تتم بالتشاور مع الملك خالد -رحمه الله- وسمو الأمير فهد بن عبدالعزيز في ذلك الوقت، حيث كنا في وزارة الإعلام نعد الخطوات ونعرضها عليهما، ولكن دون شك كانت هناك أولويات لنا من أهمها موضوع توسيع إذاعة القرآن الكريم حتى انتقلت ولله الحمد إلى أطوار متقدمة من ناحية الإرسال، وأصبحت تصل إلى المناطق التي خططنا لها، كذلك بناء محطات جديدة لتقوية الإذاعة السعودية، وهناك خطوات اتخذناها في موضوع تطوير التلفزيون وإعطاء فرصة أوسع للمثقفين للمشاركة.

ومن الأشياء المهمة التي تحققت إنشاء إذاعة خاصة باسم البرنامج الثاني تبث من جدة، وانطلقت الإذاعة وكانت مفاجأة كبيرة واتصل بي يومها الأمير فهد وعتب علي أننا لم نخبره عن موضوع الإذاعة فقلت له: إن هذا كان ضمن خطتنا المقدمة لكم وتفهم الأمر، ووافق على أن نسميها البرنامج الثاني من جدة وانطلقت والحمد لله انطلاقة كبيرة.



كانت جميع القرارات التي أتخذها تتم بالتشاور مع الملك خالد والملك فهد رحمهما الله

وهناك قرارات اتخذتها لصالح الجامعات وأساتذتها عندما أصدرت قرارا بعدم مراقبة الكتب التي تأتيهم، وأن من حقهم استيراد أي كتاب أو مرجع دون الرجوع إلينا، فنحن نأتمنهم على عقول أولادنا أفلا نأتمنهم على قراءة أي كتاب يريدونه، ولهذا كانت هذه خطوة طيبة بالنسبة لهم.

كذلك ألغيت الرقابة على رؤساء التحرير، وجعلت الرقابة فقط على الكتب التي تتعارض مع قيمنا الدينية ومع مبادئنا، ثم بعد ذلك أصدرنا قراراً يخص أدباء المملكة بعدم مراقبة كتبهم بأي شكل من الأشكال، هذا القرار أثار علينا مشكلات ولكن في النهاية ترسخت الفكرة والحمد لله وانطلقت الخطوات بصورة فعالة ومباركة.

وهناك إنجازات أخرى أفتخر بها أيضا في مجال الأدب والأدباء وتشجيعهم، وكان كلما مر بأديب ظرف أو وقع في مشكلات أو احترقت مكتبته كنا نسارع في الحال في إصلاح الوضع ودعمه والوقوف إلى جانبه.

كذلك أعتز بأنني دفعت إلى الصحافة بمجموعة من الشباب الإعلامي وسلمتهم رئاسات تحرير بعض الصحف في وقت حرج، وأثبتوا وجودهم، وبعضهم قاد صحفه إلى مستويات كبيرة من النجاح ولا يزال حتى اليوم. فالثقة التي وضعتها في هؤلاء الشباب ساهمت مساهمة كبيرة في تشجيعهم، ومنهم معالي الأخ الأستاذ إياد مدني الذي أصبح وزيراً للحج ثم للإعلام بعد ذلك، والدكتور هاشم عبده هاشم الذي مكث رئيساً لتحرير عكاظ 27 عاماً، والأخ الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري -رحمه الله- الذي أشرف على عكاظ لفترة من الزمن بالإضافة إلى كوادر الإذاعة والتلفزيون الأخرى، ثم أصررنا على التعاون في موضوع إنشاء أقسام الإعلام ولكن بكل أسف لم نستطع أن ندخل المناهج التي نريدها في أقسام الإعلام، واكتفوا بأن تكون أقساماً عامة أقرب إلى الثقافة الإعلامية منها إلى العمل الإعلامي، ولهذا لم تنجح كثيرا أقسام الإعلام في تحقيق الهدف الذي كنا نرجوه جميعا.

بين رأي الوزير وسياسة الدولة



الملك خالد كان رحيما بنا نحن الوزراء

واجهت في البداية مشكلة فصل بين رأيي كأكاديمي وبين رأيي كوزير يلتزم بسياسة دولة ويتقيد بحدود الحركة التي تتيحها طبيعة الوظيفة التي أنهض بها.

وبصورة أكثر تحديداً فإن وزارة الإعلام في بلدي من أكثر الوزارات دقة وحساسية وتداخلاً مع العديد من الجهات والأوساط ومستويات التفكير، وعليك أن تعرف كيف تتعامل مع الأمير، أو الوزير الزميل، أو القارئ أو المشاهد أو المستمع، أو العالم، أو المجتهد، أو المستفز في بعض الأحيان.

فقد تعلمت في الجامعة كيف أكون علمياً في آرائي وطروحاتي، وكيف ألتزم بقواعد البحث العلمي وأسسه ولا آبه لأي اعتبارات أخرى.

أما في الإعلام فإن عليك أن تتعامل مع الموقف الديني، والأمني، والسياسي، بل ومع الأوضاع الاجتماعية، وحتى مع سلوكيات الناس وأنماط التفكير المختلفة، وبالتالي فإنه كان علينا أن نتوقع الكثير من الغضب، أو الرفض، أو القبول، أو التقريع في بعض الأحيان، لأن العملية الإعلامية عملية معقدة وتتعامل مع كل الأهواء والطقوس والأمزجة والتطورات، وكأنك تسير فوق خطوط دقيقة ومكهربة، وتحت ضوء ألوان الطيف الشديدة التداخل أيضاً.

وقد كان عليّ أن أعمل ضمن دائرة الباحث المحكوم بمعايير وقواعد علمية واضحة، وأن أعرف أيضاً كيف أتعامل مع تلك المتغيرات الضبابية في بعض الأحيان، والمضطربة في



لقد تعلمت من الملك فهد كيف تعبر الدول عن نفسها ومواقفها في زياراتي لملوكها

أحيان أخرى، والحساسة في معظم الأحيان.

فالملك خالد الذي عملت معه في تلك الفترة كان رحيماً بنا نحن الوزراء كثيراً، وكانت أخطاء الإعلام تجد منه التقبل والتفهم، وفي بعض الأحيان كان يدافع عنا بدل أن يحاسبنا أو حتى يعاتبنا.

وكان عليّ أيضاً أن أتصرف كوزير ينفذ سياسة دولة تجد أمورها الكثير من الاهتمام من قبل سمو ولي العهد آنذاك الأمير فهد بن عبدالعزيز الذي كانت له عناية ومتابعة خاصة بالشأن الإعلامي، فقد كان يوجهني كثيراً، ويعينني على أن أستوعب سريعاً سياسات الدولة وتوجهاتها بحكم سعة اطلاعه، ودقة متابعته لكل الأمور، وضلاعته في كافة الشؤون السياسية والإعلامية والاقتصادية والأمنية على مستوى الداخل والخارج، ولذلك فقد حرصت قبل جلسات مجلس الوزراء تحديداً أن أتواصل مع إخواني الوزراء وفي مقدمتهم سمو وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل، ومع الإخوة في الشؤون العامة في مجلس الوزراء، وكذلك مع وزير البترول والثروة المعدنية أستاذي الشيخ أحمد زكي يماني ووزير المالية أيضاً معالي الشيخ محمد أبا الخيل حتى أكون على إلمام تام بكل الأمور التي تدور في فلك اهتمامهم وطبيعة تخصصهم، وحتى ألم بخلفيات الاتفاقيات التي يعتزمون إبرامها مع الدول والمؤسسات الخارجية كي أُضمنها بيان مجلس الوزراء، وأقدم عنها بياناً واضحاً لسمو ولي العهد وجلالة الملك خالد حتى قبل انعقاد المجلس، وكنت أجد منهما الدعم والتأييد المتزايد لاسيما بعد أن استوعبت المهمة بعد فترة وجيزة، وأدركت معها ضرورة الفصل التام بين ما أراه أنا شخصياً، وبين ما توجبه سياسة

الدولة بكل ما تقوم عليه من معطيات قد لا يحيط بها الكثيرون من البعيدين عن سلطة اتخاذ القرار، ويجد وزير الإعلام نفسه الأقرب منها بحكم طبيعة مهمته وثقة المسؤولين فيه، وذلك بحكم مسؤوليتهم عن تلك السياسات أولاً بأول.

وقد تعلمت من الملك فهد سواء عندما كان ولياً للعهد، ثم عندما أصبح ملكاً، كيف تعبر الدول عن نفسها ومواقفها في ظل الأزمات والتوترات والمواقف التي تشهدها البلاد أو المنطقة والعالم، فقد كان يكره أن تصدر أشياء أو اتهامات للمملكة أو تنقل معلومات خاطئة عنها أو عن بعض المسؤولين فيها، فيوجهنا بالرد عليها وتفنيدها إيماناً منه بحق الإنسان في الداخل والخارج بأن يعرف الحقيقة ويقف عليها، ولذلك كان حريصاً باستمرار على ألا تغيب وجهة نظر المملكة أو تتأخر أو تبدو غامضة، وهو نهج إعلامي اتبعته الكثير من الدول، ورسخه الكثير من الساسة في العالم.

وكنت في بعض الأحيان أقوم ببعض الإيضاح لتصريحات كبار المسؤولين لدينا بمجرد أن يدور حولها جدل، أو يترتب عليها مواقف خارجية أخرى أو ينشأ عنها سوء فهم يؤدي إلى ضرر معين وبالذات في مجال السياسة الخارجية والبترول، فكان هذا يزعج الإخوة الوزراء المعنيين بعض الشيء، ولكنهم حين يدركون أن ذلك قد تم بتوجيه عالٍ، يتفهمون حقيقة الأمر، ويتعاملون معه على نحو آخر، إلى أن تمر السحابة وتصفو الأجواء.

كما كانت هناك اجتهادات خاصة من قبل بعض الأمراء أو الوزراء أو المسؤولين حول ما له علاقة بالعملية الإعلامية، ولا تجد قبولاً لدى سمو ولي العهد الأمير فهد (الملك بعد



كنا نحرص على أن تكون صورة المملكة واضحة في كل المحافل الدولية

ذلك)، فتصدر توجيهاته بعدم بثها، فتثير حساسيتهم تجاه وزارة الإعلام، وبالذات حين لا تتفق تلك المشاريع أو الاجتهادات الإعلامية مع السياسة العامة للدولة، أو لا ترتقي إلى مستوى مكانة المملكة أو لا تعود عليها بفائدة أو نفع، وكان ذلك يضعني في حرج معهم، في بعض الأحيان.

لكن البعض الآخر خارج دائرة الصناعة الإعلامية الرسمية لا يدرك طبيعة ما يجري، ولأن الصورة لديهم لا تكون بنفس الدرجة من الوضوح كما هي واضحة بالنسبة لأصحاب القرار، وبالتالي فإن هذا البعض كان ينظر إلى ما يصدر من الوزارة بمنظار مختلف، ومنهم أخي وصديقي الأستاذ تركي السديري رئيس تحرير جريدة الرياض الذي كتب ذات مرة يصف الوزارة بأنها «وزارة النفي والتكذيب» ولم ألمه على ذلك، لأن الوضع داخل العملية الإعلامية الداخلية مختلف تماماً، وقد كنا نمر بظروف تستوجب التصدي المتكرر من قبل الوزارة لما يقال وينشر عن المملكة، وفقاً لما يوجه به أصحاب القرار ويتبناه الوزير ويتابعه بعد ذلك.

المتطلبات الجديدة للمهنة الإعلامية



كنا نعمل على الاستفادة من كل جديد في العمل الإعلامي بمختلف وسائله الحضارية الراهنة

وللحقيقة فإن الإعلام العربي بشكل عام والإعلام السعودي بشكل خاص ما زال يتحرك تحت سقف منخفض من استحقاقات الحرية والمهنية والفكرية المطلوبة إذا نحن أردنا له أن يكون إعلاماً قائداً، ومؤثراً، وليس إعلاماً تابعاً ودعائياً، لا تتفاعل معه الشعوب، ولا تستفيد منه وتطور حياتها بفعل ما يضخه في شرايين الدول والمجتمعات من أفكار نابهة، ورؤى جديدة ومستقطبة.

فنحن نعيش الآن في عصر ثورة المعلومات، ولم تعد هناك إمكانية لحجب المعلومات والحقائق، وذلك يحرضنا على أن نخطط للكيفيات التي نضمن بها تدفق هذه المعلومات ووصولها إلى عقول المتلقين وتجاوبهم معها بدل تركهم نهباً للتفسيرات والاجتهادات الضارة، أو للخطوط الحمراء المبالغ بها كثيراً، ولذلك فإن الإعلام العربي لا يستطيع قيادة الشعوب إذا هو لم يتحرر من بعض الضوابط والكوابح المعيقة لأدائه لرسالته.

والحرية التي أتحدث عنها هنا وأطالب بها لا تعني –أبداً– تخطي العقيدة أو الإساءة للدين أو الإضرار بأمن الدول، أو المساس بحقوق الشعوب، وإنما تعني توجيه رسالة أمينة



حملي للرسائل الخاصة للملوك كانت تجربة فريدة جعلتني ألم بكثير من التفاصيل الدقيقة فيما يتعلق بالعلاقات بين الدول

وصادقة وقوية من شأنها أن تجعل الشعوب أكثر التصاقاً بأصالتها وبقيمها وبأخلاقها ومحافظة على حقوقها وممارسة لها، وولاء لأنظمتها أيضاً.

وإذا نحن لم نفعل ذلك فإننا نعزل أنفسنا عن العالم، بل ونعزل وسائلنا الإعلامية حتى عن المجتمع الذي تبث فيه، فلا تصبح لها قيمة، ويصبح القارئ والمستمع والمشاهد مشدوداً إلى رؤية ومتابعة وسائل الإعلام الأخرى، فقد يجد فيها نفسه، وقد يقع تحت وطأة تأثيرها في نفس الوقت.

وأنا بهذا الرأي لا أعتبر نفسي متجاوزاً، وإنما أعتبر نفسي صاحب تجربة بسيطة هيأها لي عملي في وزارة الإعلام السعودية، للإلمام بكثير من التفاصيل الدقيقة في الداخل والخارج، وسواء من خلال عضويتي في مجلس الوزراء أو لقائي بوزراء الإعلام العرب أو غير العرب، أو مرافقتي لبعض الملوك والرؤساء والمسؤولين الذين يزورون بلدي، أو من خلال تكليفي برسائل حملتها إلى بعض القادة والمسؤولين في الخارج، وكلها تصب في قناة الحاجة إلى إعلام عربي قوي ومؤثر ليس في الداخل العربي وإنما في الخارج بصورة أساسية، وإلا فمن الذي يسمع إذاعاتنا أو يطلع على صحفنا، أو يشاهد قنواتنا التلفزيونية الآن.

إن الإعلام بحاجة إلى أفق، إلى هامش عريض، إلى الانطلاق بمنهجية علمية صحيحة، وسياسات محكمة، بعيداً عن الغموض والتشدد والانغلاق، أو الانفعال، والارتهان لردود الفعل.

وإذا كان هناك ما أعترف بتقصيري فيه خلال عملي في وزارة الإعلام فهو الانشغال بقضايا الحياة اليومية والمواقف والأحداث والسياسات الدولية، والغرق فيها على حساب التخطيط لركائز جديدة للعمل الإعلامي بالمملكة بمختلف وسائله وبما يتفق مع المعطيات العلمية والحضارية الراهنة، والاحتياجات الملحة لبلد صاحب رسالة كالمملكة العربية السعودية، وبما يساهم في إعادة تنظيم العلاقة بين الدولة والمواطن، وبينهما وبين وسائل الإعلام، حتى لا نعطي الفرصة للفجوة بين صاحب القرار وبين الشارع، أو بين الشارع وبين أدوات الإعلام ووسائله المختلفة في ظل غياب الرؤية العلمية والموضوعية والمهنية المجردة، والمدروسة، والمستقرة، وغير القابلة للتغيير أو التشكل بسهولة، وذلك بحكم قصر مدة العمل في الوزارة مقارنة بكثافة مشكلاتها.



مع الرئيس جعفر نميري والأديب يوسف السباعي

بعد خروجي من الوزارة

عندما دخلت وزارة الإعلام وعشت العملية الإعلامية من الداخل، وألمت بالكثير من التفاصيل الدقيقة بحكم تداخل عملي مع أجهزة الدولة، وبالذات بحكم قربي الشديد من جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز يرحمه الله، أدركت بعد فترة وجيزة أن العمل الإعلامي صعب، ودقيق، وحساس، ولا سيما في ظل وجود اجتهادات كثيرة، ومتفاوتة، تعرض العملية الإعلامية لضغوط شديدة وغير هينة، وداخلني شعور قوي بأن استمراري في الوزارة لن يكون طويلاً، ليس لأن طبيعة تكويني العلمي والثقافي والتربوي مختلفة عن المسؤولية الإعلامية المحاطة بالكثير من التعقيدات فحسب، وإنما لأن الإعلام كانت تتجاذبه عدة قوى، وتيارات تتفاوت في القوة والضعف تفاوتاً كبيراً حتى تجاه التفهم لرأي الآخر، فلا تكاد تجد نفسك -في وقت من الأوقات- قادراً على التوفيق بين رؤى متعددة، ومفاهيم متفاوتة وقرارات مختلفة.

وزاد على هذا أن تكون مناخات العمل الإعلامي نفسه غير صافية بدرجة كافية، تجاذباته من الحدة بحيث يصعب أن يحتفظ الإنسان بتوازنه فيها، الأمر الذي جعلني أتوقع باستمرار أن رحيلي كان وارداً في أي لحظة لاسيما بعد وفاة الملك خالد بن عبدالعزيز وإعادة تشكيل الوزارة من جديد في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز يرحمهما الله رحمة الأبرار، وذلك شيء طبيعي، ومتوقع، بحيث تتجدد المسيرة، ويختار لكل مرحلة من المراحل رجالها، وسياساتها الخاصة بها.

لكن الملك فهد فاجأني بالإبقاء عليَّ وزيراً للإعلام وظللت أعمل معه أكثر من عام، إلى أن أعفيت من الوزارة في 1403/7/11هـ، وجيء بمعالي الأخ الأستاذ علي الشاعر في مكاني، وكان آنذاك سفيراً للمملكة في بيروت، بعد رحلة طويلة له مع مهنته العسكرية.

وكما قلت في البداية، فإن العمل الإعلامي لم تكن تحكمه رؤية واضحة ومحددة، وأنه يرتهن -في كثير من ممارساته اليومية- إلى الاجتهاد وإلى الفعل ورد الفعل، وإلى مجمل الظروف الداخلية والخارجية، وإلى الانطباع في بعض الأحيان، وقد كانت تحيط به وجهات نظر عديدة حول ما ينشر وما لا ينشر ويذاع، كما كانت هناك تفسيرات واجتهادات أخرى للتحليل والربط بين بعض ما ينشر ويتردد وبين ردود الفعل المترتبة عليه.

ولعل الشيء بالشيء يذكر، أن من مزايا الملك فهد أنه لا يحمل ضغينة لأحد، وإذا عرف الحقيقة أو الصواب تراجع كثيراً، وأخذ بما توجبه المصلحة العامة، لما يتصف به من عقل، وما يتصف به من حكمة ونقاء سريرة.

صلتي بالإعلام بعد الوزارة

ورغم ابتعادي عن كرسي الإعلام، إلا أنني لم أتركه بصورة كاملة، لأنه صار جزءاً من تكويني الإنساني الفكري والثقافي والتربوي، ومن شخصيتي المجبولة على حب المعرفة والتواصل مع قنواتها المختلفة. ففي الوقت الذي أصدرت فيه حتى الآن 43 كتاباً تناولت فيها ثوابت العقيدة الإسلامية الخالدة، والسيرة النبوية وفي القصة والرواية، وفي الأبحاث والدراسات العلمية المتخصصة، فإنني أرأس مجلس إدارة 16 شركة ومؤسسة علمية وثقافية وإعلامية وأكاديمية في داخل المملكة وخارجها، ومنها مجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية، ومجلس إدارة دار القبلة للثقافة الإسلامية والنشر، ورئيس مجلس أمناء الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ورئاسة مجلس إدارة مؤسسة مكة للطباعة والصحافة والنشر، ورئاسة لجنة الكلية الأمريكية الإسلامية بشيكاغو، ورئاسة مجلس أمناء جامعة الأحقاف بحضرموت، بالإضافة إلى مساهمتي في عضوية أكثر من 10 هيئات ومؤسسات محلية وعربية وإسلامية ودولية، ومنها عضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضوية مجلس الأدباء في تونس، وعضوية مجلس الأمناء بمعهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت بألمانيا.

كما أن لي مساهمات كثيرة عبر وسائل الإعلام العربية والإسلامية المختلفة، ولا سيما



بعد وزارة الإعلام حرصت على إيصال كلمة الحق إلى حيث يجب أن تصل



مع فضيلة الشيخ الدكتور محمد علوي مالكي والشيخ عباس علوي مالكي

القنوات الفضائية منها، إيماناً مني بضرورة العمل على إيصال كلمة الحق إلى حيث يجب أن تصل، وتوعية الأجيال الجديدة بمآثر أمتها، وتاريخها العظيم، وقيمها العليا، وتحفيزها إلى ما يجب أن تكون عليه أو تصل إليه.

ذلك أن هموم الإنسان في العالمين العربي والإسلامي من الكبر والعمق بحيث يتوجب على كل إنسان قادر على المساهمة فيها بجهد عملي وكيف يخفف من وطأتها، ويساعد على تنوير الأجيال بالحقائق المحيطة بها، وهدايتها إلى الطريق المستقيم بقدر الإمكان، لأن تلك مسؤولية تقع على كاهل مفكري هذه الأمة وقادة الرأي فيها، ولا يمكن التخلي عنها أو القيام بها في كل الظروف.

ولعلي أرجع الفضل في هذه الاهتمامات -بعد الله سبحانه وتعالى- إلى تربية وتوجيه أمي وأبي لي رغم بساطة حياتهما، ثم إلى أستاذي ومعلمي الأول السيد إسحاق عزوز يرحمه الله، وإلى بعض المعلمين والإخوة والرفاق الأفاضل الذين عرفتهم في فترات مختلفة من حياتي، وأذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر فضيلة الشيخ السيد علوي المالكي، وفضيلة الشيخ علي الطنطاوي، وفضيلة الشيخ محمد متولي شعراوي، وأخي في الله الأستاذ والإذاعي الشهير أحمد فراج رحمهم الله جميعاً رحمة الأبرار، فقد كان لهم تأثير كبير في حياتي وفي تفكيري وفي بلورة أفكاري وتوجهاتي وثقافتي، وإن كنت قد احتفظت بشخصيتي المستقلة عن كل منهم، وإن احتفظت لهم في حياتي وبين جنبات تفكيري بالكثير من الإعزاز والتقدير والوفاء.



فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي من الناس الذين كان لهم تأثير في حياتي

لكن ما ظللت أحتفظ به، وأحفظه لبعض من منحوني اهتمامهم ومحبتهم وحرصهم وساعدوني في أداء مهمتي في وزارة الإعلام، أو شاركوا في تقديم مسيرة الوزارة في تلك الفترة، هو مجموعة من الرسائل والأفكار والملاحظات التي تبادلتها معهم، وأجد فيها بعض ما يذكرني بهم وبتلك الفترة من حياتي.

الفصل الثالث

اهتماماتي الثقافية

- بداياتي الثقافية
- كتابة القصة
- التوسع في التأليف
- الاهتمام بالثقافة عبر المؤسسات الحكومية
- أزمة وشاح الأدباء والمراسم
- رفع سقف الحرية.. كيف؟
- نشاطاتي الثقافية بعد الوزارة
- عقدة السيادة وواجبنا تجاه المسلمين في العالم الآخر
- زعيم فاقد الوعي.. حجبت عنه هدية الملك
- مراجعة المناهج وتقنين الفتوى ضروري
- مؤسسة مكة للإعلام كما نتمناها
- نادي الوحدة.. كمنشأة ثقافية
- نشاطاتي الثقافية الأخرى
- قضايا وهموم شغلتني كثيراً
- هزة عنيفة تجتاح حياتنا وتفكيرنا
- الطرب وتأثيره في حياة الناس

بداياتي الثقافية

رغم بساطة حياتي الأولى وتوزع اهتماماتي بين الدراسة المنتظمة مع أقراني في المدارس صباحاً والتردد على المسجد الحرام مساءً للصلاة وللاستزادة من العلم على يد أساتذة أجلاء، أذكر منهم فضيلة السيد علوي المالكي، والسيد محمد أمين كتبي، والشيخ حسن سناري، والشيخ محمد نور سيف، والشيخ محمد رضوان، والشيخ عبدالرحمن دوم، والشيخ قاسم شاولي، والشيخ عبدالحفيظ فدا، والشيخ محمد العربي التبّعاني، والشيخ عبدالجليل علي، والشيخ عبدالقادر موسى رحمهم الله رحمة الأبرار وأطال في أعمار الأحياء منهم، وبين العمل في السقاية وتوزيع مياه زمزم على المصلين والطائفين والساعين بأروقة الحرم المكي الشريف، وكذلك العمل في الحي «سقاءً»، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فقد نشأت وجيلي في مكة المكرمة في أجواء ثقافية جميلة رغم ضيق اليد وعدم توافر مصادر الثقافة وصعوبة حصولنا على الكتاب في وقت واحد.

وكانت بداية ولعنا بالثقافة قد نشأت على يد أساتذتنا الذين كانوا يأخذوننا إلى غار حراء في جبل النور، وإلى موضع المولد النبوي الشريف، الذي أصبح فيما بعد يُعرف بمكتبة المولد النبوي التي بنيت في عهد الملك عبدالعزيز بهمة وجهد الشيخ عباس قطان رحمهما الله، وبتعاون العلماء من أهل مكة ورجالاتها معه، وترحيبهم بإحياء مكان هذا الأثر الطيب والمحافظة عليه من الاندثار.

كما كنا نذهب إلى منزل السيدة خديجة ونقف على موقع قبرها، وكذلك نذهب إلى مواقع هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كانت معروفة ومحددة وكان لبعضها سدنة ومنهم سدنة مقام السيدة خديجة، وكان يشرف عليه السادة آل باروم، كما كنا نقف أيضاً على مقر مولد سيدنا حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسيال وكان سدنته بيت الشلي.

هكذا كنا نعيش تلك الأجواء الروحانية نشاهدها، ونستمع إلى أساتذتنا الأجلاء وهم يشرحون لنا تفاصيل دقيقة عن كل موضع من تلك المواضع، حتى كنا نشعر ونحن نقف فوق جبل النور، وكأن الآية القرآنية الكريمة تتنزل على هذا الجبل، ونحن نسترجع ذلك التاريخ العريق والمضيء.

كما كنا نذهب إلى المسجد الحرام بعد كل ذلك ونلتقي أولئك الصفوة من العلماء الذين كنا ندرس على أيديهم في الصباح ونستمع إلى دروسهم العظيمة مساءً ونتأدب بأدبهم، فقد كانوا آباء ومربين يعطفون علينا ويتحسسون حاجاتنا رحمهم الله جميعاً وأسكنهم فسيح جناته.

وهكذا تولدت فينا -نحن الشباب- الحاسة الأدبية بعد أن أتقن أولئك المدرسون الأجلاء بذرها في عقولنا وداخل نفوسنا.

ففي سن التاسعة من عمري، كانت لي بعض المحاولات الكتابية المبكرة، وكان يشجعني عليها أستاذي الكبير في مدرسة الفلاح آنذاك إسحاق عزوز رحمه الله. وكان إذا رأى ميولاً أدبية عند أحدنا لفت نظر بقية زملائه المدرسين إليه ودعاهم إلى تعهده والاهتمام به والعناية بموهبته والعمل على تطويرها. وكان هناك أستاذ مصري اسمه مصطفى شرف أولاني كثيراً من الاهتمام والتشجيع. ثم وجدت عوناً آخر بعد ذلك في مربٍّ آخر كان يعمل مدرساً ويحرر صفحة الطلبة بجريدة البلاد السعودية هو الأستاذ عبدالرزاق بليلة رحمه الله، فقد كان يأخذ منا محاولاتنا الكتابية المتواضعة ويهذبها ويعمل على نشرها أولاً بصحيفة المدرسة التي كان يشرف عليها، ثم يقوم بعد ذلك بنشرها في صحيفة البلاد، فيزداد بذلك حماسنا وتتكرر محاولاتنا في مواصلة الكتابة والإنتاج، سواء في صورة مقالات، أو قصص قصيرة، ومن بين الإخوة الزملاء الذين اهتم بهم الأستاذ بليلة في تلك الفترة محمد جميل فضل الذي أصبح مهندساً بعد ذلك، وعبدالكريم نيازي الذي أصبح كاتباً فيما بعد، وعبدالله عبدالرحمن جفري الأديب والصحفي والروائي المعروف، رحمهم الله جميعاً، كما كان من بين زملائي الذين شملهم الأستاذ بليلة برعايته ونشرت مقالاتهم في الصحيفة محمد إسماعيل جوهرجي الذي أصبح بعد ذلك شاعراً رقيقاً، ومحمد عمر العامودي الكاتب والمستشار القانوني المعروف الآن، ومحمد سعيد طيب الأديب والمستشار القانوني المعروف، حدث هذا بالرغم من أن بعضنا كان يدرس بمدارس الفلاح والبعض الآخر بالمدرسة الرحمانية، لكن الأستاذ عبدالرزاق بليلة استطاع بعلاقاته الواسعة بزملائه المدرسين أن يصل إلينا وإلى غيرنا، وأن يأخذ بيدنا جميعاً ويساعدنا على صقل مواهبنا الأدبية المبكرة.


عبدالرزاق بليلة

وعندما كبرنا، كنا نسمع عن زوايا أدبية تثار بها قضايا جدلية لأسماء شهيرة ولامعة في مكة المكرمة مثل زاوية الأستاذ الشاعر حمزة شحاتة، والأستاذ الشاعر إبراهيم فودة، وزاوية الأستاذ الكبير عبدالله عبدالجبار، وكان لنا ولع في الذهاب إلى زواياهم لولا صغر أعمارنا التي كانت تحول دون ذلك، لكننا كنا نتلمس أخبارها ونتابع ما يدور فيها عبر

تواصلنا مع بعض أساتذتنا الذين يكبروننا ويحضرون في تلك الزوايا ويشاركون في مطارحاتها وما تحفل به من نقاشات مثيرة وخلافات أدبية راقية، ومنها ما وقع بين الأستاذ الشاعر طاهر زمخشري والأستاذ الشاعر ووزير الحج فيما بعد حسين عرب يرحمهما الله، وكذلك ما دار من جدل واسع حول محاضرة الأستاذ حمزة شحاتة في مركز الهلال الأحمر عن أزمة الثقافة العربية، وما تطرقت إليه من أفكار وما انطوت عليه من رؤى جديدة اعتبرت فتحاً في ذلك الوقت، وغيرها من النقاشات الرفيعة والجادة والثرية.



الشيخ صالح جمال –رحمه الله– بذر في عقولنا حب الاطلاع

لكن أحداً منا –نحن شباب مكة في تلك الفترة– لا يمكن أن ينسى فضل مكتبة الثقافة وصاحبها الأستاذ صالح محمد جمال يرحمه الله علينا جميعاً، فقد كان يحضر لنا كتباً وقصصاً وروايات مشوقة ندفع قيمتها –للمرة الأولى– من مصروفنا المتواضع الذي ندخره لهذا الغرض، فإذا فرغنا من قراءة تلك الكتب والقصص أعدناها للمكتبة، وحصلنا على كتب وقصص وروايات أخرى بنفس القيمة المدفوعة له في السابق، جزاه الله عنا خير الجزاء وأسكنه فسيح جناته، فقد بذر في عقولنا بذور الحب للاطلاع والتشوق إلى المعرفة.

والأستاذ صالح جمال –كما نعرف– اشتغل بعد ذلك بالصحافة، وأصدر صحيفة الندوة وصحيفة حراء، وتشارك بعد ذلك مع الأستاذ أحمد السباعي فيهما، وباع امتيازها له، وتفرغ للعمل رئيساً للغرفة التجارية إلى أن توفاه الله، بعد أن ترك بصماته القوية على عقولنا وفي دواخلنا، فلولا هو لما كان بإمكاننا ونحن فقراء ومعدمون أن نحصل على تلك الثروة الثمينة من الكتب والإصدارات القيمة التي كان يحثنا على قراءتها، ويجلسنا إلى جانبه في مكتبته المعروفة باسم مكتبة الثقافة لساعات طوال ويتبرع بشرح مضامين الكثير منها لنا، إلى أن عشقنا القراءة وأصبحت تمثل بالنسبة لنا متعة قصوى لا سيما في ظل عدم وجود مصادر ثقافية أخرى في ذلك الوقت.

كتابة القصة

ولعلي أتذكر الآن تجربتي الأولى مع كتابة القصة في تلك السن المبكرة، فقد أخذني الحماس وأنا أتابع أحداث البريمي التي دارت بين الإنجليز وقبيلة بني كعب في منطقة البريمي بأن أكتب قصة أسميتها «على ضفاف البريمي»، وعندما نشرت استرعت انتباه الكثيرين من الأساتذة والزملاء وبعض الأصدقاء، لكن المفاجأة الكبرى كانت بالنسبة لي عندما علمت بعد ذلك أن جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز يرحمه الله قد اطلع عليها أيضاً وقال لمن حوله: ما دام أن هذا الطالب قد كتب هذه القصة الوطنية فلماذا لا تحضروه وتروا ما عنده وتشجعوه، وبالفعل فقد اتصل المسؤولون بمدير مدرستي الأستاذ المرحوم إسحاق عزوز، وطلبوا منه إحضاري إلى الإذاعة -وكانت في جبل هندي- لأقوم بتسجيل تلك القصة بصوتي تمهيداً لإذاعتها من الإذاعة السعودية.



السيد إسحاق عقيل عزوز

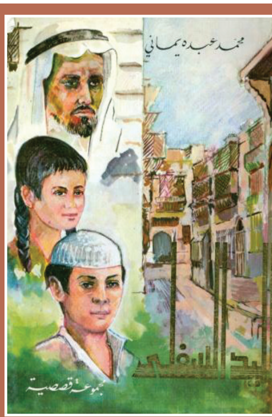
ويومها رفض الأستاذ إسحاق عزوز ذهابي إلى الإذاعة، وطلب منهم الحضور إلى المدرسة والتسجيل معي. ولما كانت إمكانات الإذاعة في ذلك الوقت متواضعة، فقد أبلغوه بأن استديوهات التسجيل ثابتة في مقر الإذاعة، وأنه لا بد من ذهابي إلى مقر الإذاعة امتثالاً للتوجيه الملكي، وعندها أذن لي بالذهاب معهم وكله فرح بي، وطلب من أستاذين من أساتذة المدرسة هما الأستاذ عبدالرحمن دوم والأستاذ أحمد عبدالماجد أن يرافقاني في الذهاب إلى استديوهات الإذاعة لإنجاز هذه المهمة، وقد حصلت على أول مكافأة مادية في حياتي لقاء تسجيلي تلك القصة للإذاعة بصوتي مقدارها 100 ريال سعودي وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت.

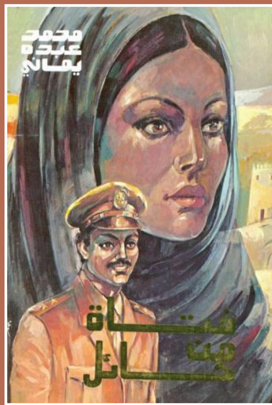
وترجع اهتماماتي المبكرة بكتابة القصة ربما لحضوري بعض مجالس الحارة التي كانت عامرة بالحكواتية الذين كنا نجلس إليهم ونستمع منهم وهم يروون لنا قصصا عجيبة أثرت خيالنا وأثرت في أذهاننا، وأخذنا نحاكيها بالرواية تارة، والكتابة مرة أخرى.

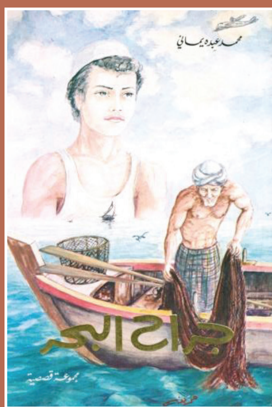
ومن القصص المبكرة التي كتبتها بعد ذلك أثناء دراستي بجامعة الملك سعود قصة «اليد السفلى»، وعندما نشرت فرح بها أساتذتي وأقبل عليها زملائي، والقصة تروي واقع الحجاز وشبابه في تلك الفترة، وتدور تفاصيلها حول شاب من أبناء غامد وزهران ممن كانوا يعملون في المنازل ودرس في مكة واتجه بعد ذلك إلى مصر لدراسة الطب، وعاد -بعد تخرجه- ليجد العائلة التي ربته وقد أصبحت في حاجة ماسة إليه بعد أن كبر أفرادها واشتد بهم المرض وضاقت بهم الدنيا، فكان خير معين لها على الاستغاثة به في الوقوف مع أفرادها صحياً، وانخرط في ممارسة المهنة بنبل وتفوق، وتزوج من ابنة العائلة التي كان يحبها منذ الصغر، فكان وفياً لها، ونبيلاً مع أسرتها.

وهناك قصة أخرى صدرت لي بعنوان «مشرد بلا خطيئة»، وتدور أحداثها حول قضية فلسطين وتشرد أطفالها، وقد لقيت اهتماماً كبيراً من الإذاعة والتلفزيون، وتحولت إلى مسلسل إذاعي، وقام الأخ عبدالرحمن الحوراني بإعداد سيناريو محكم لتقديمها من خلال التلفزيون، تجاوباً مع اهتمام وتوجيه سمو الأمير فهد بن عبدالعزيز آنذاك، لكن العمل لم يذع بعد لأسباب لم أعرفها حتى اللحظة.

أما قصة «فتاة من حائل» فقد كتبتها من واقع زيارة علمية قمت بها أنا وبعض زملائي طلاب كلية علوم الأرض بجامعة الملك سعود لمواقع جيولوجية برفقة الدكتور محمد إبراهيم فرج، والمعيد في ذلك الوقت زغلول النجار، وقد حذرنا قبل الزيارة من الاتصال بالنساء هناك لتمسكهن بعادات وتقاليد لا تسمح لهن بالحديث معنا، لكن فتاة بدوية رائعة الجمال بادرتنا بالسؤال عن طبيعة مهمتنا في الصحراء، وأكرمتنا كثيراً، وقدمت لنا كل العون بدرجة أدهشتنا، فكانت تلك القصة نتاج ذلك الموقف المثير، وإن كنت قد ربطت حكاية هذه الفتاة بتفاصيل وقعت آنذاك في أرض فلسطين فكانت القصة بذلك جماع ثقافتين، وهناك قصص أخرى مثل «جراح البحر» و«أريده حباً» و«امرأة في الظلال» وسواها كثير، وكلها من القصص الواقعية التي تلتزم بأسلوب السرد الوصفي والتسجيل، بعيداً عن الرمزية ومنهج التداعيات النفسي الذي أخذت تميل إليه مدارس القصة الحديثة في الآونة الأخيرة.





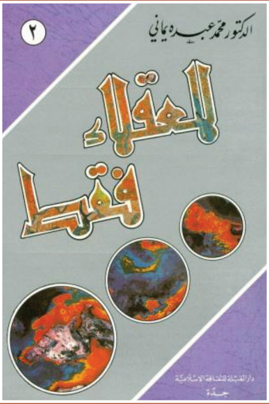


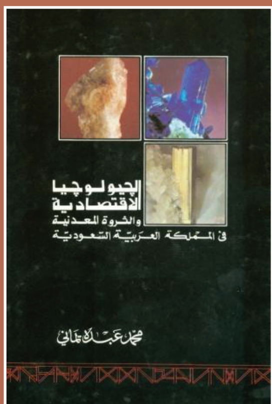
عندما نشرت قصة اليد السفلى فرح بها أساتذتي وأقبل عليها

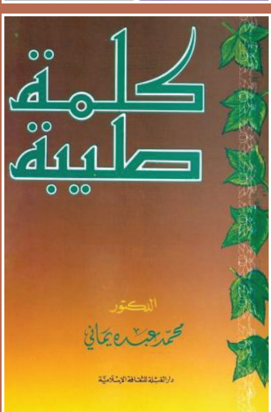
التوسع في التأليف

لم تكن القصة سواء المطبوع منها أو المنشور منها في الصحف والمجلات السعودية والعربية في أوقات متفاوتة هي كل ما كتبت وأنتجت، بل إن ما أصدرته من كتب ثقافية، ودينية، وذات طبيعة سياسية، فاق عدد القصص التي أصدرتها كثيراً، ولعلي أذكر منها الآن هنا كتاب «للعقلاء فقط» وصدر في مجلدين، وتناول موضوعات وقضايا وطنية وثقافية واجتماعية عامة، وكذلك كتاب «كلمة طيبة»، وكتب أخرى كتبتها في ظل بعض الأحداث والتطورات التي شهدتها المنطقة والعالم، ومنها كتاب «وكشفت أزمة الخليج عوراتنا» أو بعض إصدارات تتصل بتخصصي العلمي مثل كتاب «نظرات علمية في غزو الفضاء» و«وداعاً مذنب هالي» و«الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال» و«هل نحن وحدنا في هذا الكون»، والكتابان الأخيران يناقشان قضية الأطباق الطائرة التي توالت أخبارها الغريبة وقت تأليفهما. بالإضافة إلى إصداري كتاباً عن «الجيولوجيا الاقتصادية» وكنت أدرسه لطلابي في جامعة الملك عبدالعزيز وجامعة الملك سعود.





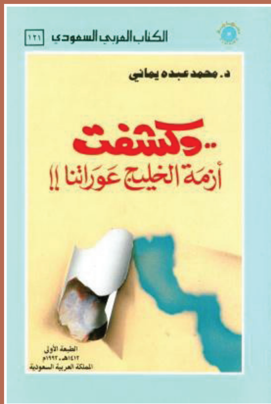




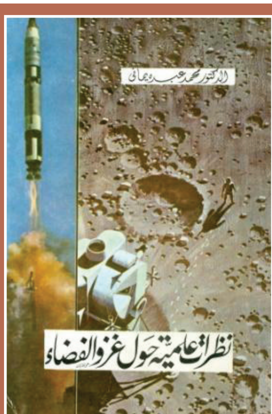
كما أن حياتي في أمريكا تركت بصماتها على بعض إنتاجي الفكري، ومنها قصة أصدرتها باللغة الإنجليزية بعنوان «A boy from Makkah»، وهي نفس فكرة قصة «اليد السفلى»، ولقيت قبولاً وانتشاراً كبيرين في بريطانيا على وجه الخصوص.

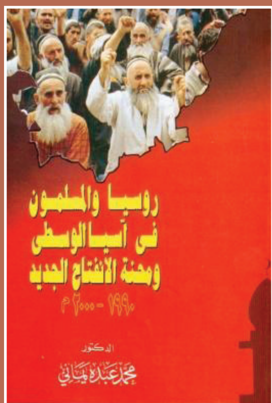
كما أصدرت كتاباً آخر تضمن تجربتي مع المسلمين الأفارقة في أمريكا، كنت قد نشرتها في حلقات مسلسلة بجريدة المدينة السعودية، ثم جمعتها ونشرتها في كتاب بعنوان «المسلمون السود في أمريكا» بعد أن أعدت كتابته وتنقيحه وترجمته إلى اللغة الإنجليزية، وسوف أصدره في طبعة جديدة عما قريب.











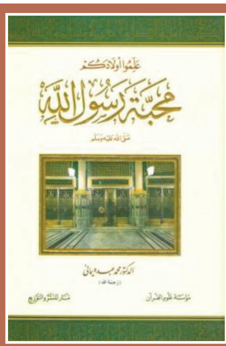


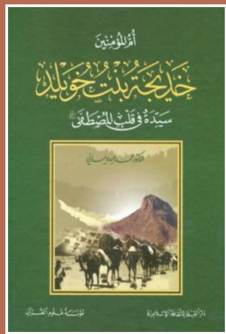
مكتبتي في المنزل وقد كنت أمضي فيها أمتع الأوقات مع كتبي وأبحاثي

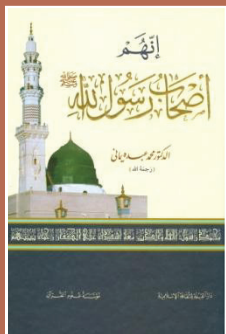
كما أصدرت كتاباً آخر بعنوان «روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى ومحنة الانفتاح الجديد» ويصب في نفس الاتجاه.

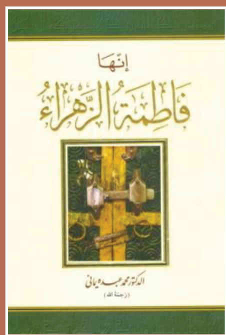
وهناك أيضاً مجموعة أخرى من الكتب ركزت على تناول السيرة النبوية وتبسيطها ومنها «علموا أولادكم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وفرحت بما صادفه من قبول وترجم إلى سبع لغات عالمية، وإن كنت قد فوجئت بمنع نشره وتداوله، بعد أن حقق كل ذلك الذيوع في الداخل والخارج، وما زال ممنوعاً حتى اليوم.

وتلاه كتاب «علموا أولادكم محبة آل البيت» ومنع أيضاً، وكذلك كتاب «إنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وقد فسح هو وكتاب آخر بعنوان «علموا أولادكم ذكر الله»، وهناك كتب أخرى في هذا السياق جاهزة للطباعة والنشر ومنها «تأدبوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم» و«علموا أولادكم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم»، وكان الهدف والغاية من إصدار هذه السلسلة هو تبسيطها للناشئة من الشباب والشابات وربطهم بتراثهم الإسلامي العظيم، وبرموزهم الروحية والتاريخية الخالدة، وقد فرحت بترجمة أكثرها وحصول بعضها على جائزة الأزهر كذلك.

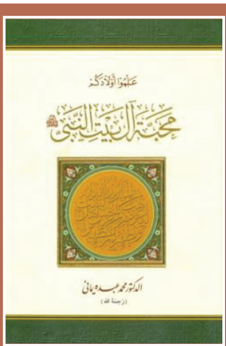








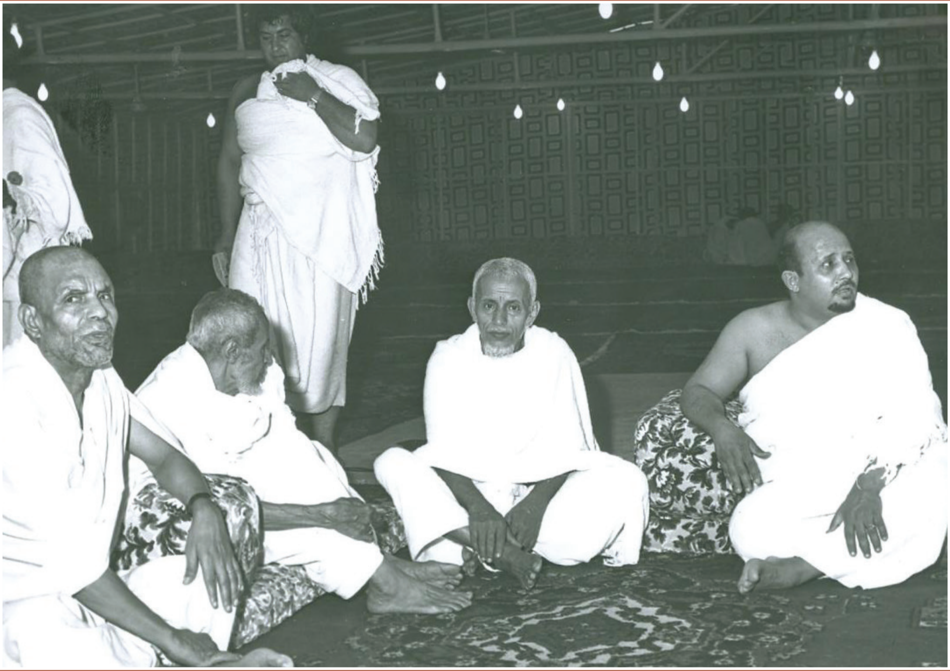
وقد وفقني الله للاستمرار في إلقاء الضوء على جوانب السيرة النبوية في هذا الإطار، وكانت صحبتي لشيخنا الفاضل محمد متولي الشعراوي خلال إدارتي لجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ذات أثر كبير في بلورة هذا الاتجاه لدي بالذات، بعد أن تركت أحاديثه -يرحمه الله- أثراً كبيراً في عقول ونفوس المشاهدين والمستمعين الذين كانوا يتابعون تفسيره للقرآن الكريم وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم باستمتاع نادر، وكما هو معروف فإن الشيخ الشعراوي كان محباً لرسول الله وقدم الكثير من اللمحات المؤثرة عن حياته ومنهج تفكيره وجهاده في نشر عقيدة السماء.



وقد تجسد هذا التأثير في تفكيري من خلال البرنامج التلفزيوني الذي كنت أقدمه بعنوان «أضواء على السنة» إلى جانب فضيلته وبمشاركة وحضور أفذاذ كانوا يتحدثون في شؤون السيرة النبوية وفي الثقافة الدينية. ومن بين الأشخاص الذين تابعوا البرنامج وشاركوا فيه صديقي في ذلك الوقت الأستاذ أحمد فراج، الصوت الإذاعي الشهير يرحمه الله، والذي أجرى كذلك مقابلات عديدة مع فضيلة الشيخ الشعراوي ببرنامجه الشهير «نور على نور» الذي كان يقدمه من التلفزيون المصري. وهكذا تعززت رفقتنا نحن الثلاثة وبدأ الناس في مصر يلتفون حول أحاديث فضيلته عن القرآن وتفسيره، إلى أن أصبح هذا البرنامج معروفاً في العالمين العربي والإسلامي، واهتمت به بعض المعاهد العالمية والمراكز الإسلامية، وتمت دعوته إلى أوروبا وأمريكا لإلقاء محاضرات والمشاركة في ندوات علمية رفيعة المستوى فيها، ليكون لي بذلك شرف تقديم هذه الشخصية الفذة والكشف عن قدراتها الفريدة وتقديمها للعالم بالصورة التي طبعته في أذهان الأجيال المتعاقبة حتى الآن.


لقد تعززت رفقتي بالشيخ الشعراوي وأحمد فراج من خلال برنامج نور على نور

وما أسعدني أكثر هو أنني ساهمت في توثيق أواصر الصلة والصداقة بين فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي وبين أستاذي الجليل الذي تعهدني صغيراً -كما أسلفت- السيد إسحاق عزوز، فقد كان الشعراوي شاباً يافعاً حضر إلى مكة المكرمة للتدريس في المعهد العلمي السعودي، وكان الشيخ حسن آل الشيخ، وزير المعارف فيما بعد ثم وزير التعليم العالي، من طلابه هو ومجموعة من إخوانه في ذلك الوقت.



صحبتي للشيخ الشعراوي من أغنى الفترات في حياتي الثقافية

وتعتبر الفترة التي قضيتها مع فضيلته من أغنى الفترات في حياتي الثقافية واللغوية على وجه التحديد، حيث قربتني من السيرة النبوية أكثر فأكثر، وانعكست على مؤلفاتي في هذا الاتجاه، وهي التي جرى ترجمتها إلى اللغة الإندونيسية، واللغة التركية، واللغة الأردية، واللغة الفارسية، واللغة الإنجليزية، واللغة الفرنسية، وبعض اللغات الإفريقية، ومنها اللغة النيجيرية، كما كان لجولاتي على مختلف أنحاء المملكة تأثير آخر مباشر على بلورة اهتماماتي الثقافية وصقلها والاهتمام بتراث الأمة وآثارها وأنماط الحياة فيها.

الاهتمام بالثقافة من خلال المؤسسات الحكومية

الحقيقة أن أدواري الرسمية في المجال الثقافي كانت محصورة في إطار المؤسسات التعليمية التي عملت بها، فعندما كنت طالباً في جامعة الملك سعود وفقت وعدد من الزملاء في إصدار مجموعة من الصحف الحائطية في كل من كلية العلوم وكلية الآداب بالتعاون مع اللجان الثقافية في كل كلية. وكان نصيبنا في كلية العلوم أن عملنا على إصدار أول مجلة تحت عنوان «العلوم»، حيث رأست تحريرها، فيما كان عبدالله عمر نصيف سكرتيراً للتحرير، وكانت هيئة تحريرها مكونة من عبدالعزيز أبو زنادة، وعدنان خضري، ورضا كابلي، وفهد الحسين، وحمزة الخولي، وإياد هاشم، فيما كانت اللجنة الثقافية برئاسة الأستاذ آنذاك عبدالغني حمزة. وقد تصدر العدد كلمة من عميد الكلية مختار صبري، وشارك في تحريره كل من الأساتذة والطلبة عمر باسبع، وسالم مليباري، ومحمد يعقوب عيسى، وجمال سنبل، والدكتور عبدالمحسن صالح، وحسان حسني الطاهر، وخالد التركي، وعبدالرزاق بكر، وعدنان خضري. وتنوعت المواد بين القصيدة والمقالة والقصة والخبر والتحقيق. وكان كل منا يجد فيها ضالته والحمد لله.


مجلة الصاروخ

وعند صعود أول إنسان روسي للفضاء هو يوري جاجارين، عملنا على إصدار مجلة سميناها «الصاروخ» وكانت عبارة عن صاروخ من الألمنيوم مدبب الرأس في شكل صاروخ، ثم أخذنا بعد ذلك نركز على المحاضرات الثقافية في مدرج «عزام» تخليداً لذكرى الأستاذ عبدالوهاب عزام الذي أنشأ الجامعة، وكان أول مدير لها رحمه الله. واستضفنا فيها مجموعة من أهل الفكر والعلم والأدب ليحاضروا الطلاب في الفترة المسائية، ونجحنا في جمع تلك المسامرات وإصدارها في كتيب صغير باسم جامعة الملك سعود -كلية العلوم وكلية الآداب-، وتأتي هذه النشاطات في إطار بداياتي الثقافية المبكرة التي أسهمت في صقلي وزيادة اهتمامي بالثقافة والمعرفة والعشق لها، رغم تخصصي العلمي البعيد كل البعد عن مجالات الفكر والعطاء والإبداع الفني.

وعندما انتقلت للعمل وكيلاً لوزارة المعارف حرصت على تطوير المكتبات، واتفقت مع الوزير حسن بن عبدالله آل الشيخ -رحمه الله- بأن تخصص ميزانية صغيرة لهذا الغرض تتيح لنا شراء كتب ودوريات تتفق مع حاجات الطلاب في مدارسهم، خصوصاً طلاب المرحلتين المتوسطة والثانوية، وحاولنا في خطوة تالية أن ندخل التلفزيون التعليمي إلى المدارس ونوفر بها أفلاماً يطلع عليها الطلاب في إجازاتهم وأوقات فراغهم وتساهم في تنمية خيالهم، لكن بعض الجهات الدينية أوقفت هذا المشروع، حيث اعترضت على مبدأ عرض هذه الأفلام عبر التلفزيون المدرسي، بحجة أنها لا تتفق مع العملية التعليمية أو تتصل بها، ورغم ذلك فقد تواصلت الاجتهادات لتثقيف الطلبة وتوعيتهم وربطهم بعقيدتهم وموروثهم، حيث ركزنا على تدريس القرآن الكريم بصورة مبسطة بالرغم من عدم توافر الأساتذة المؤهلين الذين يجيدون تعليم كتاب الله بالصورة الصحيحة في ذلك الوقت.



ساعدني حسن آل الشيخ على تخصيص ميزانية صغيرة لتطوير المكتبات

لكن نشاطاتي الثقافية اتسعت وخرجت من الإطار الحكومي الرسمي إلى الإطار العام، فقد حرصت بمجرد تسلمي لإدارة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة على ربط الجامعة بالروافد الثقافية الخارجية، وأنشأنا مجموعة من الأنشطة الثقافية، كإصدار العديد من الدوريات العامة، كما أصدرنا العديد من الكتب العلمية المتخصصة أو الثقافية العامة، ولم نكتف بذلك بل تبنت الجامعة الدعوة لإقامة أول مؤتمر للأدباء على مستوى المملكة حشدت له كل إمكاناتها وسعت إلى إنجاحه، وشكلنا لهذا الغرض لجنة عليا للإعداد لهذا المؤتمر برئاسة عميد كلية الآداب الدكتور محمد زيان عمر، وعضوية كل من الدكتور حسن عبدالله أبو ركبة، ونزار إبراهيم توفيق، والدكتور حسن خفاجي، والدكتور عمر الطيب الساسي، كما تشكلت لجنة تنفيذية من عميدي كليات الآداب والاقتصاد والإدارة والعلوم، ومشاركة عدد كبير من الأساتذة الكبار من المثقفين السعوديين، ومنهم الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي، والأستاذ عبدالعزيز الربيع، والأستاذ عبدالقدوس الأنصاري، والأستاذ محمد حسين زيدان، والأستاذ عبدالمجيد شبكشي، والدكتور صالح المالك يرحمهم الله، وكذلك الأستاذ عبدالله بن خميس، وعبدالله بن إدريس، والدكتور ناصر الرشيد أمد الله في أعمارهم.

وقد تم تخصيص جوائز للرواد في العلوم والفنون والآداب في إطار تكريم المبرزين في مختلف العلوم، وتحدد للمؤتمر 70 موضوعاً توزعت بين الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم واللهجات العربية في القرآن والقصائد الشعرية الداعية إلى الفضيلة وأدب الاستشراق والأدب المقارن، بالإضافة إلى تناول أدب الجزيرة العربية ودراسات عن الرعيل الأول من الأدباء السعوديين، وبعض الدراسات النقدية المتخصصة للشعر السعودي بمختلف اتجاهاته ومدارسه، وكذلك اهتم المؤتمر أيضاً بالتراث الشعبي في الأدب السعودي والشعر النبطي والقصة وأثر الآداب الأجنبية في الأدب السعودي، ومدى تأثر أدباء المملكة بالمدارس الأدبية المعاصرة. ولم يغفل المؤتمر الجوانب التاريخية ودراسة الأماكن الجغرافية بالمملكة والآثار. كما اهتم بالشؤون الإعلامية وركز على تاريخ الصحافة بالمملكة وتطور أسلوب الكتابة الصحفية منذ صدور جريدة القبلة وحتى تاريخ انعقاد المؤتمر. كما اعتنى المؤتمر بالمخطوطات وبالمكتبات الشهيرة في المملكة مثل مكتبة عارف حكمت، ومكتبة الحرم المكي الشريف، ومكتبة نصيف، ولم يغفل المؤتمر قضايا الترجمة وأدب الرحلات والأناشيد الوطنية والشعر الديني في الأدب العربي، في الوقت الذي لم تغب فيه قضية فلسطين وحريق المسجد الأقصى عن طروحاته ودراساته ونقاشاته أيضاً.



حرصنا في وزارة المعارف على تطوير مكتبات المدارس

أزمة وشاح الأدباء مع المراسم

استمر مؤتمر الأدباء ستة أيام ابتداء من يوم الأحد 1394/3/1 وانتهى يوم الخميس 1394/3/5هـ، وعلى فترتين صباحية ومسائية.

وقد أصدرت الجامعة كتيباً بهذه المناسبة صدره معالي وزير التعليم العالي آنذاك الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ بكلمة قال فيها «جامعة الملك عبدالعزيز تحوز فضل السبق في الدعوة لهذا المؤتمر الذي نرجو له النجاح، ونأمل أن تحتضنه في المستقبل جامعات أخرى وتنويع محتوياته بصورة تحفظ الأصالة وتجعل من ميزاته عمق البحث وجودة الموضوع، حتى تعيد إلى الأذهان صورا مشرقة لأيام العرب ونوادي الأدب والبيان التي كانت تزخر بها الجزيرة العربية الأصيلة، مما يكون له ردود فعل طيبة في نفوس الشباب في المدارس والجامعات ودور البحث».

وقد قدمت الجامعة «أوشحة» رفيعة المستوى للمرة الأولى في تاريخ المملكة للرواد والرموز الثقافية، مما كان له وقع كبير في نفوس الجميع، وهي الأوشحة التي خلقت أزمة بين الجامعة والمراسم.

لكن انتقالي من الجامعة إلى وزارة الإعلام حال دون استمرار انعقاده، ولمدة تجاوزت 25 عاماً، حيث عقد المؤتمر الثاني عام 1419هـ، وإن لم يكن المؤتمر بنفس الزخم الذي رافق إطلاق المؤتمر الأول بقوة، لكنني وجدتها فرصة لخدمة الثقافة من خلال هذه الوزارة وبأسلوب آخر بالرغم من أن الثقافة -في ذلك الوقت- كانت مرتبطة بالرئاسة العامة لرعاية الشباب، وبالرغم من المحاذير الدينية والرقابية المفروضة من السابق. فقد حرصت على جذب الأدباء والمفكرين إلى رحاب الإذاعة كمعدين ومقدمين لبرامجها وموادها المختلفة، وساهم معنا العديد من الإعلاميين.

كما تم الاتفاق مع رجال الصحافة على أن تهتم صحفهم بالثقافة وتعمل على ترجمة بعض القصص العالمية وتنمية مهارات الشباب ومواهبهم الأدبية المهنية، بالإضافة إلى أننا خففنا الرقابة على المصنفات الأدبية من قبل الوزارة، كما شجعنا الأدباء والمؤلفين على الإنتاج، وذلك بشراء كميات كبيرة من مؤلفاتهم ودواوينهم، ونشرها في كل مكان، وبالذات من خلال المراكز الإعلامية، والمكاتب الثقافية الملحقة بسفاراتنا في الخارج، كما أعطينا الجامعات حق مراقبة مطبوعاتها، ومنحناها حرية التزود بما تريد من الكتب والمراجع والدوريات العلمية والعامة، بعيداً عن الرقابة.

رفع سقف الحرية الإعلامية كيف؟

من جانب آخر، عملنا على وضع أول سياسة إعلامية بالمملكة، وكذلك إعادة صياغة أنظمة الطباعة والنشر ونظام المؤسسات الصحفية، بما يتفق مع طبيعة المستجدات المهنية والإعلامية الصحيحة في هذا العالم، وبما يوفر مرونة أكبر أمام حركة الإعلام ورفع سقفه، وزيادة الثقة في الكفاءات القائمة على تلك المؤسسات، وإطلاق حريتها في العمل والتعامل معها كمؤسسات مستقلة.

وقد واجهت في وزارة الإعلام -منذ البداية- مشكلة رقابة دينية شديدة على النواحي الثقافية، حيث كانت تحاط بحذر شديد، وبمراقبة خانقة من قبل محتسبين، وكذلك من قبل رجال ينتسبون للشؤون الدينية في الوزارة وخارجها. فلم يكن مسموحاً بأي حال من الأحوال رعاية الفن الغنائي ولا بامتلاك أدوات الطرب، ولا بقيام التجمعات الغنائية عموماً، ولا بافتتاح دور سينما إلا في مواقع محددة في القواعد العسكرية التابعة لوزارة الدفاع والطيران بالطائف، وبعض المناطق، وإزاء هذه المحاذير بذلنا جهداً كبيراً في الوزارة من أجل تغيير تلك النظرة إلى تلك النواحي، وسعينا إلى تنظيمها حتى أصبحت لدينا أماكن لبيع أدوات الطرب، وأشرطة الفيديو، وألبومات الأغاني، وأخضعت جميعها لتراخيص رسمية منظمة ساهمت في انتشارها وضبطها في آن معاً، كما أخذت أجهزة الإذاعة والتلفزيون تبث أنواعاً مختلفة من الأغاني، وتتوسع في تقديم المسلسلات، وبدأت الحفلات الموسيقية تقام في مختلف المناطق بعد أن كانت من الممنوعات، وأخذنا نشاهد العديد من المعارض تخصص للرسم التشكيلي، وازدهرت في ظل ذلك حركة التشكيل، وبرزت مواهب متميزة أصبح لها دور ومساهمة عالمية مرموقة.

وحتى الأنشطة المسرحية بدأت تظهر في المدارس والكليات والجامعات بصورة ملحوظة، بعد أن كان المسرح شيئاً مذموماً ذات يوم، حيث قامت جهات دينية معينة برفع شكوى إلى الملك سعود إثر قيام الأستاذ الكبير أحمد السباعي -رحمه الله- بافتتاح مسرح، اتهموه بنشر الفساد في حالة إتمام المشروع الذي كان قد بلغ مرحلة متقدمة من التجهيزات كالديكور والتصاميم بعد الترخيص المسبق له بالمشروع من قبل. لكن كل ذلك تغير الآن، وأصبحنا نشهد تطوراً كبيراً للعمل المسرحي في بلادنا، ولا سيما في المنطقتين الشرقية والوسطى، وأصبح لدينا من نفخر بأعمالهم المسرحية الجيدة على المستويين المحلي والعربي، ليجسد بذلك طبيعة التطور الثقافي الذي أخذ يقفز على كل المعوقات وتصحيح المفاهيم الخاطئة مع الأيام.

وقد أسهمت تلك الإرهاصات في وضع بذور ثقافية جيدة في البلد، كما أدى تأسيسنا للأندية الأدبية وجمعية الثقافة والفنون كخطوة تنظيمية ضرورية إلى وجود كيان حقيقي للثقافة، ما لبث أن ارتبط في النهاية بوزارة الإعلام الآن، وإن كانت الثقافة

قيمة علمية وفكرية وإنسانية مستقلة تستوجب المزيد من الدعم والاهتمام والتوسع والاستقلال بهدف حفظ التراث وزيادة الاهتمام بالآثار والمقتنيات العلمية والمخطوطات، جنباً إلى جنب الاهتمام بثورة المعلومات والاستفادة من التقنية العالية في نشر المعرفة في المجتمعات وتوسيع دوائر الشراكة الفكرية في مجتمعات الدنيا كافة، لا سيما في ظل تبني هذه البلاد دعوة التعايش بين الأديان والثقافات في هذا العالم.

نشاطاتي الثقافية بعد الوزارة

عندما تركت الوزارة في عام 1403هـ، وجدتها فرصة مناسبة لإشباع ميولي الثقافية التي كانت محاصرة بين التخصص العلمي الجاف، وبين بيروقراطية العمل الوظيفي المقنن ومسؤولياته وتبعاته وحدوده الضيقة، حيث تفرغت لبعض الأعمال الثقافية والمشاركة في الأنشطة والمنتديات والقيام برحلات علمية وثقافية واسعة للتعرف على أحوال الأقليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا وآسيا وسواها.

ومن بين تلك الأعمال ترؤسي لمجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية، وكذلك إدارة شركة اقرأ للتنمية والطباعة والنشر، ومجلس إدارة شركة دار القبلة للثقافة الإسلامية والنشر، ورئاسة لجنة الإعلام برابطة العالم الإسلامي، ورئاسة مجلس إدارة مركز جدة للعلوم والتكنولوجيا، ورئاسة مجلس أمناء جامعة الأحقاف بحضرموت، ورئاسة إدارة مؤسسة مكة للطباعة والصحافة والنشر والتي تصدر صحيفة الندوة، بالإضافة إلى الانخراط في عدة نشاطات وعضويات عربية وإسلامية ذات طبيعة ثقافية مثل: رئاسة لجنة تسيير الكلية الأمريكية الإسلامية بشيكاغو، وعضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضوية جائزة بنك التنمية الإسلامي، وعضوية مجلس الأدباء في تونس، وعضوية مجلس الأمناء بمعهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت بألمانيا، وعضوية مجلس إدارة هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، وعضوية رابطة الأدب



ترؤسي لمؤسسة اقرأ الإنسانية فتح لي مجالات واسعة لخدمة العمل الإسلامي



كنت ألقي محاضرات في مختلف مؤسسات المجتمع لإيماني بدور الكلمة الطيبة وتأثيرها

الإسلامي بالهند، وعضوية مؤسسة الملك فيصل العالمية، ومؤسسة الملك خالد يرحمهما الله.

وقد أكسبتني هذه المشاركات الكثير من الخبرات الإضافية، ومكنتني من المساهمة في تطوير العمل العلمي والثقافي في أكثر من موقع من مواقع العمل الأساسية في العالم، مما أدين له بالفضل في ثروتي الثقافية التي أعتز بها كثيراً.

وإذا كان هناك ما أعتز به أيضاً في حياتي الثقافية، فهو رحلاتي ولقاءاتي بالمسلمين السود في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك في روسيا ودول آسيا الوسطى وبعض الدول الإفريقية أيضاً. انطلاقاً من إيماني بأن هؤلاء الإخوة في الله «مهملون»، وأن الأمة مقصرة تجاههم، وأن المثقفين بدرجة أساسية لا ينهضون بواجبهم كاملاً تجاههم.

وقد ألفت كتاباً بعنوان «المسلمون السود في أمريكا: القصة الكاملة» عام 1427هـ، رويت فيه تجربتي مع الإخوة المسلمين ذوي الأصول الإفريقية في أمريكا، حيث تتبعت جذورهم وأصولهم وصورت جوانب من الحياة القاسية التي يعيشونها، والظلم الذي يصادفونه، والاحتقار والتفرقة العنصرية والاضطهاد والممارسات اللاإنسانية التي يتعرضون لها.

كما رويت في هذا الكتاب جوانب من حياتي معهم يوم أن كنت أدرس بجامعة كورنيل في نيويورك، وكذلك بعد عودتي إلى المملكة وعملي في جامعة الملك عبدالعزيز، ثم في عملي بوزارة الإعلام، ومن خلال عضويتي برابطة العالم الإسلامي، حيث حرصت على التواصل معهم، ودعوت بعضاً من زعمائهم وقادتهم للمملكة، وتحاورنا مع مجموعة من أهل العلم



معرفتي بقضية المسلمين السود في أمريكا جعلتني أحرص على رئاسة لجنة تسيير الكلية الإسلامية في شيكاغو

والفضل والفكر في المملكة وفي العالم الإسلامي من أجلهم.

وبالرغم من التطورات التي شهدتها أمريكا سواء على المستوى السياسي أو الفكري في التعامل مع قضية المسلمين السود هناك، ولا سيما في ظل اختيار الرئيس باراك أوباما لقيادتها، إلا أن هذه الفئة من السكان ما تزال تعاني، وأن رابطتنا معهم ليست كما يجب، وأن التواصل معهم والإحساس بهم في أي مكان من هذا العالم يظلان مسؤولية جميع المسلمين، ونحن هنا في المملكة العربية السعودية بصورة أكثر تحديداً.



عندما زرت روسيا وجدت المسلمين متمسكين بعقيدتهم

عقدة السيادة وواجبنا تجاه المسلمين في العالم الآخر

أما بالنسبة لواقع المسلمين في روسيا وآسيا الوسطى، فإن زياراتي لهم أوقفتني على قصص تدمي القلب وتهز مشاعر كل إنسان مسلم، وقد ضمنت ذلك كتاباً أصدرته بعنوان «روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى ومحنة الانفتاح الجديد»، وأصدرته عام 2000م، وخصصت دخله لدعم مسلمي الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، وتناولت فيه الناحية الديموجرافية والجذور التاريخية والواقع المعاش في الاتحاد السوفيتي السابق، وعرضت للتحديات التي تواجه المسلمين هناك، وخلصت إلى تحديد أوجه وآفاق التعاون وخطوات العمل المستقبلية من أجل النهوض بأوضاعهم وضمان تمتعهم بحقوقهم الكاملة وفي مقدمتها حقوقهم التعبدية.

ومن يقف على حياتهم اليوم يدرك أنهم متمسكون بعقيدتهم، وحريصون على المحافظة على هويتهم الإسلامية وتعليم أبنائهم الحد الأدنى من أمور الدين من صيام وصلاة وعبادة وحفظ للقرآن، وإن عاشوا في ضنك شديد وعناء لا حدود له.

وقد لاحظت خلال جولاتي عليهم أن أشد ما يؤلمهم هو جهلنا بهم، وحصولنا على معلومات خاطئة، ومن مصادر لا تعرف حقيقة تلك الأوضاع، الأمر الذي يرتب علينا مسؤولية الاقتراب منهم، والتواصل معهم، بصرف النظر عن المسائل السياسية



في الصين فرحوا بزيارتنا وأشد ما يؤلمهم جهلنا لأحوالهم

وتعقيداتها، والنواحي الوطنية والقومية، ومقتضيات السيادة للدول التي يعيشون فيها، فنحن لا نسعى بذلك إلى التدخل في شؤون تلك الدول، وإنما نرقى إلى إقامة جسور مع المسلمين من مواطنيهم، ونتعامل معهم من خلال دولهم ومعرفة أنظمتهم، ونقدم لهم العون المشروع الذي يعينهم على المحافظة على عقيدتهم والتمسك بهويتهم الإسلامية.

زعيم فاقد الوعي حجبت عنه هدية الملك



كنت أزور أفريقيا كثيرا وألتقي بأهلها وأتفقد أحوالهم

وأجد نفسي هنا أمام مفارقة قاسية حين أتناول هذا الموقف، وأنا أندب حظ المسلمين في بعض الأوطان. فقد كلفت بزيارة إحدى الدول الإفريقية التي توجد بها أكثرية إسلامية كبيرة، ويرأسها زعيم مسلم. وحين التقيت برئيس تلك الدولة لأسلمه رسالة من جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز، وأبحث معه أوجه التعاون بين البلدين ومجالات العون الذي ستقدمه المملكة لهم، فإذا بي أجلس أمام إنسان «مخمور»، يجد صعوبة كبيرة في التحدث إليّ وفي ترتيب أفكاره، مما صدمني وهز كياني وجعلني أتوقف عن تقديم هدية ملكية اصطحبتها معي من الأراضي المقدسة، وكانت عبارة عن قطعة ثمينة من ثوب الكعبة المشرفة، مقدمة من خادم الحرمين الشريفين له.

وقفلت عائداً إلى بلدي، وأبلغت الملك بما رأيت، وبأنني لم أقم بتسليم الرجل هديته، لما رأيته منه، واكتفيت بالحد الأدنى من الحديث معه، وقلت بيني وبين نفسي: أي مصير ينتظر بلداً هذه قيادته، وتلك واجهته السياسية والدينية مع كل أسف، وقد غضب الملك كثيراً، وسعد -في الوقت نفسه- بتصرفي معه.

مراجعة المناهج وتقنين الفتوى ضروري

تلك محطة من المحطات الكثيرة الموجودة في حياتي، وإن كان ما حرصت عليه بعد ذلك هو الالتقاء برجال الثقافة والفكر في بلدي وفي خارج بلدي للمساهمة في الدعوة إلى الاهتمام بفكر الأمة، وشبابها، والنظر بعمق في قضاياها وأزماتها الاقتصادية منها والفكرية والاجتماعية والإنسانية، مما دفع الكثيرين منهم إلى طرق باب الإرهاب والعنف، ومهالك الجريمة، والغرق في متاهات المخدرات بأنواعها، وجعلهم أدوات في يد الأعداء تحركها في الاتجاه الذي يضر بقوى الأمة، ويشكك في ثوابتها، ويزعزع استقرارها، ولي العديد من المحاضرات واللقاءات والندوات في التبصير بأخطار قصورنا تجاه ثروات الأمة البشرية المهملة، وكلها تؤكد على ضرورة مراجعة مناهجنا الدراسية، ومضامين الفتاوى الشرعية، وبنيتنا الفكرية المضطربة لمعالجة الكثير من حالات الانحراف والتخبط والتحلل، والتوترات التي يعيشها الجيل الراهن.

وكنت -وما زلت- أنبه إلى أهمية الدعوة إلى الانفتاح، والتسامح، وإعطاء المزيد من الحرية للشباب في الحركة والتفكير، والثقة بهم، وإعادة بناء شخصيتهم على أسس جديدة تُعلي شأن الاستقلالية في التفكير والتحليل، وتخرجهم من دائرة التلقين وإضعاف الشخصية وعدم الثقة بهم.

كما ركزت وتركز طروحاتي العلمية والثقافية على أهمية صنع القدوة وترسيخ قيم العدالة والصدق والأمانة وتعزيز الانتماء الوطني الصادق، حتى لا تصبح أجيالنا مجرد دمى نحركها في كل اتجاه، ولا نشركها في التخطيط أو التفكير أو التطوير لأوجه الحياة التي نتطلع إليها.



إن إعطاء الحرية للشباب وإعادة بناء شخصيتهم على أسس جديدة تعلي من استقلاليتهم في التفكير والتحليل وتخرجهم من دائرة التلقين

مؤسسة مكة للإعلام كما نتمناها



تطوير صحيفة الندوة كان من أولوياتنا في مجلس إدارة الصحيفة

ولم تكن مساهماتي الكتابية في الصحف والمجلات السعودية والعربية هي كل مساهمتي في خدمة بلدي وأمتي وعقيدتي، بل إن سعيي من خلال صحيفة الندوة التي رأست مجلس إدارة مؤسستها الإعلامية كان دائما هو رائدي إلى إنجاز عمل إعلامي متقدم ينطلق من مكة المكرمة ويصل إلى كل مكان في العالم، وهو شغلي الشاغل، إذ لا يصح أن تصدر من مكة صحيفة ضعيفة لا يتجاوز توزيعها بضعة آلاف من النسخ، ولا تكاد تعرف خارج نطاق مكة التي شرفها الله بالكعبة وجعلها قبلة للمسلمين، ومهبط رسالة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقد وجدت في خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز أكبر معين لي على تحقيق هذا الهدف، بما وفره للمؤسسة من عون، وما دفعنا إليه من إجراء دراسات موسعة لتطويرها وإصدار واحدة من أقوى الصحف فيها.

ولا أنسى الدعم والاهتمام الذي كنا وما زلنا نجده من أصحاب السمو الأمراء ماجد وعبدالمجيد ابن عبدالعزيز وخالد الفيصل لتحقيق هذا المشروع، وتطوير مؤسسة مكة الإعلامية، وإصدار صحيفة مكة إلى كل الدنيا.

وقد كلفت مؤسسة أسبار الإعلامية التي يملكها الدكتور فهد العرابي الحارثي بإجراء دراسة علمية شاملة لتصحيح أوضاع المؤسسة، وإصدار صحيفة تنهض بمسؤوليتها

التاريخية نحو مكة المكرمة، ولن يمضي وقت طويل حتى يتحقق هذا الأمل لسببين اثنين هما:

أولاً: المكانة الروحانية للبلد الأمين عند جميع المسلمين في كل مكان من هذا العالم، وتطلعهم إلى صدور صحيفة قوية بمواصفات عالمية من مكة المكرمة.. قبلة هذه الأمة وموئل عقيدتها الإسلامية العظيمة.

ثانياً: أن مكة حرسها الله تستطيع عن طريق هذه الصحيفة أن توصل صوت الإسلام، وليس صوت المملكة العربية السعودية فقط، إلى كل مكان في هذا العالم، حين تشتمل على مضامين أخلاقية وإنسانية عظيمة عرف بها الإسلام، لتصحح بذلك مفاهيم خاطئة انتشرت في أرجاء الدنيا عنا، فشوهت الإسلام وقدمته للعالم بغير حقيقته.

وسوف نحرص -إن شاء الله تعالى- على أن تصدر هذه الصحيفة بعدة لغات في مرحلة لاحقة، بعضها إسلامي، والبعض الآخر عالمي، حتى نسمع صوتنا لإخوتنا، ولأصدقائنا، ولشعوب الأرض كافة.

والندوة تشكل تاريخاً طويلاً، يجسد بدايات الرسالة المحمدية، ويعكس طبيعة الأطوار التاريخية لمكة المكرمة في جوانبها الروحانية والمكانية والزمانية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية على حد سواء، ومن هنا كان اهتمام الملك عبدالله كبيراً للنهوض بهذه المؤسسة، وتمكينها من تحقيق الأهداف المنوطة بها، ونحن بصدد استقطاب جميع الفعاليات المهتمة بصناعة الكلمة لتحقيق هذه الطموحات إن شاء الله تعالى.



أنظر إلى نادي الوحدة على أنه مؤسسة تربوية تجمع شباب مكة على الخير والمحبة

نادي الوحدة.. لمنشأة ثقافية

أما بالنسبة لنادي الوحدة الرياضي، وقبولي لرئاسة مجلس إدارته لفترات متتالية، فإنني لا بد أن أقول إن نظرتي للأندية الرياضية مختلفة عن السائد والمعروف، فأنا أنظر إلى نادي الوحدة على أنه مؤسسة مكية ترتبط بها مشاعر أهل مكة المكرمة، ويعبرون من خلالها عن صادق مشاعرهم ومحبتهم لهذه المدينة المقدسة، كما أنظر إلى النادي على أنه مؤسسة تربوية تجمع شباب مكة على الخير والمحبة والصلاح إن شاء الله.

وقد سعيت وبقية الإخوة الزملاء سواء في مجالس الشرف، أو في إدارات النادي، أو في المجتمع، لتطوير مفهوم الأندية القائمة من أندية رياضية فقط إلى أندية تربوية، تعلم الفضيلة، وتقود شبابنا إلى الخير، ولدينا خطط طويلة المدى في هذا الاتجاه لأن العملية التربوية لا تتم في يوم وليلة.

كما أنني أنظر إلى نادي الوحدة من زاوية ثقافية أيضاً، وعليه مسؤولية توجيه الرأي العام بصورة متدرجة ومنظمة، وكنت حريصاً باستمرار على أن نستثمر هذا العدد الكبير من جماهير النادي لتطوير الواقع الثقافي والاجتماعي لأبناء مكة من خلال استثمار عواطفهم، ودفعهم إلى المزيد من التعلم، واكتساب المعرفة، وتحويل النادي -على المدى البعيد- إلى منشأة ثقافية مؤثرة.

وأنا وإن كنت أعرف صعوبة هذه التوجهات، إلا أن لي ثقة عمياء في أن أبناء مكة قادرون على ذلك، وأن مدينتهم المقدسة تستحق منهم الارتقاء بمستوى النادي الذي يلتفون حوله، بحيث يصبح نادي الوحدة منارة علم، وثقافة، وبناء أجيال مؤمنة برسالتها الأخلاقية والإنسانية قبل أي شيء آخر.

نشاطاتي الثقافية الأخرى

منذ عرفت طريقي إلى الحرم المكي الشريف وأنا طفل صغير، أصلي فيه أكثر فروضي برفقة والدي، وأوزع في أرجائه مياه زمزم، وأتعامل مع أغواته الكرام، وأدرس على يد معلمي وموجهي وفي المدرسة في أروقة المسجد الحرام نفسه، وأنا أتحسس في نفسي شعوراً ينمو بألق هذه العقيدة الإسلامية الخالدة، وعظمة نظرتها نحو الفقراء والمساكين والمرضى والمحتاجين، لتتطور هذه النظرة إلى اهتمام حقيقي بالأقليات الإسلامية في أفريقيا وأمريكا والصين واليابان وروسيا ودول العالم الأخرى.

فلم أكن لأفوت مناسبة تجمعني بالمسلمين، أو تتحدث عن الإسلام كعقيدة، وحياة، وكفكر خلاق يقوم على السماحة واليسر، إلا حضرتها وساهمت في التحدث فيها، وفي الاجتماع ببعض قياداتها، وفي تلمس احتياجاتها إلى تعلم كتاب الله، وبناء المساجد، والمجيء إلى الديار المقدسة، كما سبق لي أن أسلفت.
أما على المستوى الداخلي، فقد حرصت على أن تكون مؤسسة اقرأ الخيرية مصدر إشعاع ورابطاً بين أجيال الأمة، سواء بما أصدرته من كتب ورسائل وأعمال علمية، أو بما قامت به من تعهد بعض المؤسسات الداعية إلى نشر العقيدة والتعريف بسماحتها في الداخل والخارج.



تطورت نظرتي إلى اهتمام حقيقي بالأقليات المسلمة



كنت أعتز بمؤسسة اقرأ ودار القبلة بأنهما ساهمتا معا في نشر ثقافة حفظ القرآن

كما كانت شركة دار القبلة للثقافة الإسلامية والنشر بمثابة البوصلة التي تجتمع فيها كلمة الحق، مع هدف التنوير، وتعزيز الأصالة التي اتسم بها الفكر الإسلامي الخالد، ولست هنا بصدد ذكر الأعمال الكبيرة التي قمنا بها فيها، فهي لوجه الله تعالى أملاً في الفوز برضائه وعونه وتوفيقه جلَّت قدرته.

ويكفي المؤسستين اعتزازاً بأنهما ساهمتا في نشر ثقافة حفظ القرآن بمدارس تسعى إلى تعلمه وفهمه وتدبر معانيه من قبل أبناء المسلمين، وهو العمل الذي أشعر وأنا أقوم به أنني أتقرب إلى الله تعالى يوماً بعد الآخر، ولا سيما إذا وجدت أن مدارس تحفيظ القرآن التي تعهدناها بالاهتمام والرعاية والعون قد خرجت وما تزال تخرج أبناء وبنات صالحين بإذن الله تعالى وبتوفيقه لهم.

وإذا كان هناك ما يجعلني أشعر بالسعادة والطمأنينة النفسية، فهو أنني ومن خلال المؤسستين وبجهدي الذاتي استطعنا والحمد لله تعالى أن نوسع دائرة اهتماماتنا وخدماتنا لتشمل العديد من الجمعيات الخيرية في المملكة وخارجها، وكذلك جمعيات رعاية الأيتام ودورهم، وجمعيات المعاقين من الأطفال والكبار وذوي الاحتياجات الخاصة مثل الصم والبكم والمصابين في عيونهم، فهؤلاء توجد فيهم آلاف المواهب والطاقات التي تحتاج إلى رعاية مضاعفة واهتمام أكبر ليس من الدولة فحسب وإنما من أهل الخير ومن المؤسسات التي قامت على خدمتها.

كما كنت حريصاً على أن أكون موجوداً في جميع المناسبات الثقافية في المملكة وفي



ولم أكن لأتردد في حضور جميع المناسبات في الداخل والخارج بقدر ما تسمح به ظروف العمل والحياة والصحة والعمر.



ظللت أركز في محاضراتي على أهمية العناية بالمناهج لتخريج جيل قادر على العمل وتحمل المسؤولية

خارجها، سواء بالمشاركة في إلقاء المحاضرات والمساهمة في الندوات واللقاءات، أو في إدارة بعضها وتوجيهها الوجهة الخيّرة التي قامت من أجلها، ويحضرني في هذا المقام اثنينية الأخ عبدالمقصود خوجة بجدة، ومؤسسة الشيخ حمد الجاسر يرحمه الله في الرياض، ومنتدى المرحوم الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي من قبل، وملتقيات الشيخ الدكتور راشد المبارك، والشيخ عثمان الصالح، وكلها منارات معرفية تعلم الكثيرون منها ووجدوا فيها الخير كل الخير، وما تزال تعطي الكثير لأبناء المملكة وبناتها جزى الله الأحياء منهم خيراً، ورحم الله من توفاهم الله رحمة الأبرار، ووفق الجميع لإشاعة روح المعرفة في كل مكان من هذا العالم، فنحن بحاجة إلى أن نعرف عقيدتنا على حقيقتها، وأن نفهم ثقافتنا على طبيعتها، ففيهما الخير كل الخير، وفي التمسك بهما والإضافة إليهما والتلاقح مع ثقافات العالم وحضارته ما ينير دروب الخير أمام الإنسانية، ويزيل غشاوتها وظلام عقول بعض من ينتسبون إليها، وهو ما ضمنته كتبي ورواياتي الصادرة حتى الآن.

أما المحاضرات والندوات، فإنها تحتاج مني إلى وقفة طويلة لا أدري إن كان العمر سيسعفني للقيام بذلك، أو أن تكون واحدة من الأمانات التي أضعها في عنق الأبناء، ونشر هذه المحاضرات ليس من باب تعظيم الذات، وإنما من باب نشر الفائدة بين الناس، فقد يكون فيها ما يستحق ويستوجب المطالعة والاهتمام، وهذه الكتب والروايات سأجملها في التالي:

1- اليد السفلى
2- فتاة من حائل
3- جراح البحر
4- امرأة في الظلال
5- مشرد بلا خطيئة
Aboy From Makkah-6
Bershiba Triangie-7
8- الجيولوجيا الاقتصادية
9- نظرات علمية حول غزو الفضاء
10 - الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال
11- أقمار الفضاء غزو جديد
12- وداعا هالي
13- هل نحن وحدنا في هذا الكون ؟
14- للعقلاء فقط (الجزء الأول)
15- للعقلاء فقط (الجزء الثاني)
16- وكشفت أزمة الخليج عوراتنا
17- أحاديث في الإعلام (كتيب)
18- الإعلام العربي ما بعد أزمة الخليج
19- أفريقيا لماذا.. لا تضيعوا أفريقيا كالأندلس
20- المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية
21- قادم من بكين والإسلام بخير
22- روسيا والمسلمون ومحنة الانفتاح الجديد
23- علموا أولادكم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجم إلى اللغات (التركية، الإندونيسية، الإنجليزية)
24- علموا أولادكم محبة آل بيت النبي
25- بأبي أنت وأمي يا رسول الله
26- كيف صام رسول الله صلى الله عليه وسلم
27- تأدبوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (كتيب)
28- هكذا حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
29- البابية
30- حوار مع البهائيين
31- التأمين بالدعاء
32- كيف نصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
33- لماذا لم يعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم
34- أحاديث في الإعلام
35- بدر المدينة والغزوة
36- إنها فاطمة الزهراء رضي الله عنها
37- الصحابي الجليل أبو هريرة الحقيقة الكاملة
38- خديجة بنت خويلد.. سيدة في قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم
39- السيدة عائشة وأمانة الرواية
40- والدا الرسول الكريمان صلى الله عليه وسلم
41- إنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
42- المسلمون السود في أمريكا (القصة الكاملة)
43- علموا أولادكم ذكر الله تعالى

قضايا وهموم شُغلت بها كثيراً



قضايا التعليم والبطالة بين الشباب شغلتني كثيرا

ورغم هذا العدد الكبير من المؤلفات التي أصدرتها، رغم المسؤوليات العديدة ومشاغل العمل والحياة الكثيرة والاهتمامات المختلفة الأخرى، إلا أن تكويني الشخصي المبكر كان يدفعني باستمرار إلى التركيز على بعض القضايا التي تشغل بال الناس، وفي مقدمتها:

قضايا التربية والتعليم

قضايا المرأة المسلمة

قضايا الأسرة المسلمة

قضايا العمل والبطالة بين الشباب من الجنسين

وهي قضايا تناولتها في كثير من الملتقيات والمنتديات الأدبية والثقافية داخل المملكة وخارجها، وكذلك من خلال بعض وسائل الإعلام المطبوعة والمسموعة والمرئية أيضاً.

والمجتمع الذي تتعرض فيه ثوابته التربوية لحالة من الاهتزاز يواجه الكثير من المشكلات.

وعندما أطرح مجتمع المملكة كنموذج لتأثير التغيير الاجتماعي والثقافي والسلوكي فيه، فإنني أخرج بالعديد من الشواهد السلبية التي لا يمكن أن تخطئها العين.

ففي دراسة أعددتها لإلقاء الضوء على التحولات الاجتماعية السعودية بصورة عامة

وفي منطقة مكة المكرمة منها بصورة خاصة، ركزت فيها على منطقة مكة المكرمة خلال الفترة الواقعة ما بين عام ألف وثلاثمئة وعشرين وألف وأربعمئة وعشرين، خرجت بأنه وخلال هذه الفترة تمت تحولات كبيرة وتغيرت أوجه الحياة وحتى شخصية المدن وتركيبتها السكانية وكيانها وحدودها، فبعد أن كانت بعض المدن محصورة داخل أسوار مثل جدة والطائف ومكة المكرمة والمدينة المنورة خرجت هذه المدن عن الأسوار، وتضاعف عدد السكان، وتغيرت شخصيات المدن من ناحية العمارة، وتغير كل شيء فيها من طريقة السكن إلى وسائل الاتصال، وبدخول الكهرباء حدثت تغييرات جذرية في عادات الناس وفي تقاليدهم بعد أن كانوا ينامون بعد صلاة العشاء، ويبدؤون أعمالهم بعد صلاة الفجر، وبعد أن كانوا يستعملون في تنقلاتهم الجمال والحمير دخلت السيارات وأخذت تحل محل الدواب، ثم بدأت القفزات الكبيرة عندما انفتحت هذه المدن ودخلها التلفزيون ودخلتها وسائل الاتصال الحديثة وعرفت الأقمار الصناعية، وبدأ انفتاحها بصورة أكبر على عواصم العالم، فأثر هذا في الحياة الاجتماعية، ثم جاء التطور الثاني عندما تحسنت دخول الناس وقامت الدولة بخطط التنمية المتوالية، فأخذ الناس يستفيدون من هذه الدخول ويستعينون بعمالة خارجية سواء في أعمالهم أو منازلهم كمربيات في المنازل وخدم، وهكذا دخل تأثير جديد أدى إلى تحول كبير وهو وجود العمالة الأجنبية وتراجع اليد الوطنية العاملة، وكان لهذا العامل تأثيره الشديد.

وجاء عامل ثالث أكثر خطورة، لأن المجتمع لم يكن مستعداً له وهو ثورة الأقمار الصناعية وانتشار القنوات التلفزيونية ووسائل الاتصال الاجتماعي تويتر وفيس بوك وما في حكمها، ودخولها إلى كل منزل بكل ما فيها من برامج أثرت دون شك في حياة الناس وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم وموروثاتهم وفكرهم، وقد أثر هذا الأمر بكل أسف في عمق الحياة الاجتماعية وغير بعضها تغييراً جذرياً، فأثر في الأخلاق والسلوك، وقد وصل التأثير إلى المدارس، ففي المدرسة لم يعد ذلك المدرس الذي عهده المجتمع في الماضي عندما كان المدرس مربياً وقائداً ومعلماً وموجهاً للتلاميذ، فقد أصبح المدرس في المدارس يؤدي دروسه دون عناية بقضية التربية والأخلاق والسلوك، فزيادة الطلب والتوسع الكبير في التعليم الذي فرضته ظروف التنمية أدى إلى تخريج مدرسين ليسوا على المستوى التعليمي والتربوي الذي يؤهلهم لقيادة الطلاب وتوجيههم وتربيتهم في أغلب الأحوال، فأصبح التعليم خالياً من التربية، وهذا أثر إلى درجة كبيرة في سلوك التلاميذ، وبالتالي في سلوك المجتمع.

وجاءت المشكلة الأخرى وهي أن التطور في الدخول وتوافر الكسب أدى إلى تخلي الكثير من الآباء والأمهات عن أدوارهم لحاضنات وخادمات في المنزل، وأصبح الإنسان يستطيع أن يقول بكل سهولة إن نسبة كبيرة من أبناء المجتمع هم أطفال المربيات والخادمات، وتخلى الأب عن دوره وانشغل عن تربية أولاده، فحصل الانفلات وعانى المجتمع من هذه المؤثرات، ونتج عن ذلك تحولات اجتماعية خطيرة لم يلحظها الناس، وقد تكون أكثر

تأثيراً في المستقبل.
ولنأخذ بعض الصور الاجتماعية للمجتمع المكي يوم كان مجتمعاً نقياً تحكمه القيم والأخلاق وتحرسه التقاليد والأعراف، لنستدل بها على مدى التغير الاجتماعي الكبير الذي حصل ، فقد كان المجتمع المكي مجتمعاً مترابطاً يعرف بعضه بعضاً ويعرف الإنسان جاره ومن حوله ومن في حارته، وإذا كان يعمل في أي عمل فإنه يعرف جميع من يعملون معه، ويعرف الطالب معلمه وإمامه، وهكذا كان مجتمعاً مترابطاً. ثم لنأخذ هذه الصورة التي يرويها لنا الآباء والتي سبق أن ذكرتها: لقد كان الرجل إذا سافر خارج مكة المكرمة وليس في منزله أولاد، فإن زوجته تقوم بعجن العيش وإعداده على طاولة ووضعه على الباب الخارجي، فلا يمر إنسان من الحارة إلا ويأخذ هذا اللوح، ويذهب به إلى الفران ثم يعود به ويضعه أمام باب المنزل الذي أخذه منه في أدب واحترام.
هكذا كان المجتمع في الماضي، أما إذا ما نظرنا اليوم إلى ما يفعله أولاد الحي وكيف يتصرفون عندما يرون سيدة في سيارتها أو مجموعة فتيات، نجد أن كثيراً منهم يتعقبونهن ويسعون خلفهن، ويقطعون عليهن الطريق في وقاحة ليس لها مثيل، أما إذا خرجت من سيارتها فإنهم يتعقبونها وهي تدخل إلى محل تجاري، ويقذفون لها بالأوراق، وهكذا تحولت صورة المجتمع، وهكذا تحول أولاد البلد، وتحولت جوانب من أخلاقهم، واختفت لدى كثير منهم الشهامة والرجولة والغيرة والاحترام، وحلت محلها مجموعة من الأخلاق السيئة التي ترمز إلى تحولات سلبية خطيرة في المجتمع، وهؤلاء الأولاد إنما تصرفوا على هذا النحو لأنهم فقدوا التربية، فالأم تخلت عن مسؤوليتها، وجعلت المربية أو الخادمة هي التي تربيهم، والأب تخلى عن دوره وانشغل بمباهج الحياة ومكاسبها وأغدق على أولاده بالعطايا ليريح ضميره بأنه قدم لهم شيئاً ما أي شيء بعد أن حرمهم من حنانه وتربيته ومسؤوليته أمام الله عنهم، وتخلى المدرس عن مسؤوليته وأصبح ملقناً للعلوم، ومسخت في كثير من المدرسين الشخصية التربوية وغابت الأخلاق، وحدث التحول الذي أدى إلى تغييرات جذرية في المجتمع.
ومن هنا فإننا نستطيع أن نلاحظ التغيرات التي حصلت في المجتمع المكي كنموذج للتحول الاجتماعي في المملكة العربية السعودية، وإن اختلفت من مكان لمكان بقدر ما، وبصورة تزيد أو تقل وبدرجات مختلفة في المدن والقرى، ولكنه تحول أثر في مجتمعنا ككل.
وأنا عندما أتحدث عن هذا التغير فإنني لا أستطيع أن أنكر أنه لا يزال في المجتمع نفر من الناس يحرصون على تربية أولادهم، وما تزال هناك أمهات يسهرن على تربية أولادهن من البنين والبنات، ولايزال لدينا مدرسون أمناء يحرصون على أداء واجبهم، ولكن هؤلاء أصبحوا قلة أمام السيل الجارف والتحول الكبير الذي يطحن المجتمع ويؤثر فيه ويغيره تغييرات جذرية تضرب في أعماقه.

والمتتبع بدقة لحياة الناس في مكة المكرمة في المراحل السابقة يلاحظ أنها كانت عادية وطبيعية، وبدون تغييرات جذرية لا في الناس ولا في المجتمع، قبل ظهور البترول في المملكة، وبعد ظهوره ظلت الحياة كذلك إلا من تغييرات بسيطة خلال العشرين سنة الأولى لظهور البترول، وبعد ذلك بدأت بعض التغيرات الأساسية ولكن بصورة بسيطة، وتحسنت دخول الناس وموظفي الدولة على وجه الخصوص والعاملين في التجارة، وظل الأمر على هذا النحو إلى أن جاءت الفترات التي بدأت فيها الدولة بالإنفاق بصورة واسعة ووضعت خطط التنمية، وبدأت القفزات الكبيرة في الدخول، وكان ذلك خلال الفترة الواقعة ما بين 1395-1405هـ، حيث تم التوسع الكبير في عمليات التنمية، وكان سريعاً مما تطلب فتح باب الاستقدام على مصراعيه، وتم إحضار آلاف من العمالة الأجنبية من الرجال والنساء، ثم أصبحت أعدادهم بالملايين، حيث بلغ عدد العمال الأجانب ما يزيد على سبعة ملايين بين رجل وامرأة.

وجاءت النقطة الأخرى فعندما تحسنت الدخول زاد عدد المواطنين الذين سافروا إلى خارج المملكة بعوائلهم، كما زاد عدد الناس الذين يستخدمون ويشغلون خادمات ومربيات في المنازل، وحتى إن بعض ذوي الدخل المحدود أصبح لديهم سائقون ومربيات، وهكذا بدأ التغيير بصورة كبيرة وواسعة، وبدأ الجميع يعاني من هذا التخبط ومن آثاره الاجتماعية.

هزة عنيفة تجتاح حياتنا وتفكيرنا

كانت الأسر في مكة المكرمة تعيش في وحدات متلاحمة مترابطة، ومعظمهم أسر كبيرة تعيش في بيت واحد يسكن فيه الأب والجد والأولاد، وكلما تزوج ابن وسعوا في المنزل ليكون معهم، بل إن بعض العادات كانت عجيبة وتدل على الكرم والإيثار، فقد كان بعض الناس الذين ليس لهم أولاد إذا رأى أي إنسان آخر ودخله محدود ولا يستطع أن يشتري أرضاً ليبني عليها يدعوه ليبني غرفة، ويقول له بدلاً من أن تتكلف تعال وابنِ فوقي، ليوفر عليه، ومن هنا نجد في المحاكم اليوم قضايا لمجموعة من الناس لبعضهم الدور السفلي يملكونه بصكوك ولبعضهم الدور العلوي بصك آخر - كما أسلفت.

وكان النظام العائلي يقوم على الترابط كما يقول الأستاذ محمد علي مغربي في كتابه «الحياة الاجتماعية في الحجاز» الذي كان يصف جانباً من حياة الأسر: كان الناس يعيشون في كنف رب الأسرة وكبيرها إذا كان أباً أو جداً، وكانوا يأكلون على مائدة واحدة، فالرجال يأكلون مع بعضهم وبقية بنات العائلة ونسائها يأكلن معاً، وكان الجميع يأتمرون بأمر رئيس العائلة ويحرصون على سماع نصائحه ويستأذنونه في كل شيء، وفي كل تصرف. وكان الصغير يوقر الكبير والجميع يعطون للسن حقها.

وكان رئيس العائلة هو الجد، وبعد وفاته يبقى أكبر الأبناء هو رئيس العائلة، وقد كان لشباب البيت مكان خاص للاجتماع والسمر مقصوراً على رجال العائلة الكبار وأصدقائهم، وقد كان الكبار يعتبرون أنفسهم مسؤولين عن صغار العائلة، فهم يرعون شؤونهم ويراقبون تصرفاتهم، وخاصة ما يتعلق منها بالآداب العامة، فالالتزام كان مبنياً على التعاطف، وهو يمثل الرابط العائلي من الجانبين.

فقد كان أهل مكة يعيشون في أحياء محدودة ومعروفة وتسمى الحارات ولكل حارة أهلها وسكانها وعمدتها وفقيهها، وهناك كبار أهل الحارة الذين يعود إليهم الناس في كل شأن، ويرعون شؤونهم ويحتكمون إليهم، وكان أهل مكة عامة يهتمون بشؤون الحج والحجاج، والحرفة الأساسية كانت هي خدمة الحجاج، فهم يعتبرونهم ضيوف الرحمن، وكانت مهنة الطوافة في مراحلها الأولى مهنة ذات صبغة عملية، ويقوم بها أهل العلم والورع لخدمة ضيوف الرحمن، ويفتحون بيوتهم للحجاج باعتبارهم ضيوف الرحمن، ولا يأخذون منهم أي مقابل ولا يشترطون عليهم أي مبلغ.

كانت هذه المهنة الأساسية لأهل مكة المكرمة، وهناك بعض المهن التي كان يعمل فيها الناس خلال العام ويكسبون رزقهم من العمل في هذه المهن فمنهم الحدادون، ومنهم النجارون، ومنهم بائعو الأقمشة والمشتغلون بالجزارة وبيع الخضروات وجلبها إلى مكة المكرمة، ومنهم أصحاب الفنون في زخرفة المنازل، ومنهم طلاب العلم والعلماء الذين يدرسون في المسجد الحرام، وهناك أنواع أخرى من المهن التي كانت مشهورة في مكة

المكرمة كأعمال البناء والحجارة الذين يعملون في صناعة الحجر وهكذا، ولكل من هؤلاء شيخ يحكم ويتحكم في قوانين الصنعة. فلا يعمل أي إنسان إلا بإذن من شيخ الصنعة، فللمطوفين شيخ، ولباعة القماش شيخ، وللجزارين شيخ، وهكذا يلتزم كل أهل صنعة بآداب الصنعة وقوانينها ويحرصون على أداء أعمالهم على خير وجه، وحتى العوائل كانت تسمى باسم صنعتها مثل بيت النجار، بيت الحداد، بيت الكتبي، بيت العطرجي.

وكذلك الأغوات في المسجد الحرام كان لهم شيخ يعرف بشيخ الأغوات، وهو الذي يوجههم لخدمة البيت الحرام والمسجد الحرام، وهؤلاء الأغوات كانوا يفدون إلى مكة المكرمة من بلادهم هدية من أهاليهم لخدمة المسجد الحرام، وكان بعضهم يصل مخصياً حيث يقوم الحاكم في أفريقيا بإخصائهم صغاراً واستخدامهم عندما يكبرون لخدمة نساء الطبقات العليا في مجتمعاتهم، وبعضهم يبعثون إلى الحرمين الشريفين وهم في الغالب من الأحباش والنوبيين.

ولقد تطورت أعمال شيخ الأغوات، حتى أصبح في وقت من الأوقات يعتبر من الشخصيات المهمة في مكة المكرمة، وكان أمير مكة أو حاكمها يذهب في أيام الأعياد والمناسبات ليسلم على شيخ الأغوات، كما أن أوضاعهم الأخرى قد تطورت حتى وصلت ذروتها عندما تطورت دخولهم من الأوقاف والعقارات التي كانوا يملكونها، والتي هي باقية حتى اليوم، وكان شيخ الأغوات يساهم في احتفالات ومناسبات أهل مكة المكرمة التي كانت تقام، كذكرى السيدة خديجة بنت خويلد زوجة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وذكرى كانت تقام لعبدالله بن عمر رضي الله عنه، وذكرى الإسراء والمعراج، وذكرى المولد النبوي الشريف، وكانت هذه مناسبات وعادات تقام في مكة المكرمة في ذلك الوقت.

وكان عمد الحارات يختارون بعناية وبدقة ولا يعين العمدة إلا من الرجال المحترمين الذين يشهد الناس لهم بالأخلاق والرجولة والمسؤولية، والعمدة يعرف كل سكان الحي.

ومن ينظر في أحوال أهل مكة المكرمة وطريقة كسبهم يلاحظ -كما سبق ذكرها- أن: المهن الأساسية لهم كانت خدمة الحجاج، ولكن تبين بعض الدراسات تنوع الأنشطة التي اشتغل بها أهل مكة من أجل تأمين معيشتهم، فأولها العمل بالوظائف الحكومية والخدمة العامة، وهذه تخص ولاة مكة وأعوانهم من الجنود والرجال والقضاة وعمال السوق والحرس وحجبة البيت وأئمة الحرم وغيرهم، ولا بد أن هؤلاء كانت تتفاوت دخولهم وفقاً لأهمية الوظيفة ومهامها، ومن المحتمل أن لكثير منهم دخولاً إضافية إما من خلال العمل الجزئي بالتجارة، أو تربية الماشية، أو امتلاك رقيق، وتشغيلهم ببعض الحرف والخدمات وغير ذلك، وكان العطاء المنظم وما يوزعه الخلفاء من أموال في المناسبات يشكل رافداً طيباً لدخول بعض أهل مكة.

أما أهم الأنشطة السكانية فكان العمل بالتجارة، وكان أكثر أهل مكة يرتبط بالتجارة والكسب منها بشكل أو بآخر، ولقد تغيرت طبيعة التجارة عنها فيما قبل الإسلام تغيراً

أساسياً، بحيث أضحت تعتمد على التجارة الداخلية، وتنوعت التجارة ونشأت الأسواق والبائعون المتخصصون، ونشطت حركة الصرافة وتبادل السلع مع البادية والأقاليم القريبة والبعيدة والأمصار الإسلامية، وكانت ذروة النشاط في موسم الحج، ومن خلال الدراسة تبين أن عدد العاملين بالتجارة أقل بقليل من إجمالي عدد العاملين بكل المهن الأخرى وربما أنهم كانوا الأعلى دخلاً.

أما الزراعة فلا تشكل أهمية كبيرة كنشاط سكاني على الرغم من إقامة عدد من المشاريع الزراعية، ولكن نظراً لطبيعة مكة فإن الانشغال بالزراعة لم يكن ذا جدوى اقتصادية، بحيث تستقطب للعمل فيها أعداداً من أهل مكة، اللهم إلا بعض الزراعات المطرية مثل زراعة الحبحب والشمام، وكانت هناك بعض المزارع في أعالي مكة المكرمة في طريق الطائف مثل الشرائع والمسفلة.

الطرب وتأثيره في حياة الناس

كان الغناء وخاصة الذي يقوم على الإنشاد من أبرز مظاهر الفرح عند أهل مكة المكرمة، وكان لهذا الغناء أعلامه وأصوله، وكان الناس بعد الفراغ من موسم الحج يذهبون إلى خارج مكة في بعض مناطق البساتين وبعض مناطق المياه المنحدرة من بقايا مياه الأمطار ليقيموا أياماً يرتاحون فيها بعد عناء العمل، ويقيمون حفلات غناء، ولا يحضرها إلا الرجال، وكذلك كانوا يفعلون في مناسبات الزواج، وفي تلك الأيام التي مضت لم يكونوا يستخدمون آلات الطرب كالعود والكمان وغيرها.

وكان الغناء هو أبرز الفنون الحجازية الأصيلة في الأربعينيات والخمسينيات، وكانت مكة المكرمة تنفرد باثنين من أعلام الغناء في ذلك العصر، هما زعيما هذا الفن، أعني بهما الشيخ إسماعيل كردوس، والشيخ حسن جاوه، والأخير هو والد الأساتذة أمين وجمال وعبدالغني وطاهر جاوه.

وكانا يحييان حفلات الغناء التي كانت تقام دائماً بمناسبة الأعراس الكبيرة، في مكة المكرمة وجدة، وكان الغناء في الواقع يقوم على الإنشاد، ولم تكن تصاحبه آلات الطرب كالعود والكمان والقانون وغيرها من الآلات التي يشاهدها الناس، والتي تتكون منها الفرق الغنائية، فلقد كان استعمال هذه الآلات ممنوعاً بصورة صارمة خلال الأربعينات والخمسينات، بل وحتى الستينات وما بعدها، كما أنه لم تكن هناك ميكروفونات لأنه لا توجد كهرباء، حتى إن إذاعة الأذان من الحرم المكي الشريف بالميكروفون إنما تمت في النصف الأول من الستينات، ولهذا فإن المغني أو المنشد إنما كان يعتمد على صوته وحده، وكانت أصوات المغنين الذين ذكرتهم جهورية عالية الطبقات، وكان المرحوم إسماعيل كردوس أعلاهم طبقة، وأجهرهم صوتاً، وكانوا يبالغون أنه إذا كان يغني في الهدا سمعه الناس في الكر، والكر بضم الكاف والراء وتشديدها هو سفح جبل كرا، وهو موضع معروف في الطريق الجديد للطائف، وكان هؤلاء المغنون يتعلمون الغناء على أيدي المغنين والمطربين المشهورين في زمانهم، وكانوا يتقنون الإنشاد إتقاناً تاماً.

وكذلك الشيخ حسن جاوه رحمه الله، فقد كان له حضور فني وحضور ذهني في نفس الوقت، فهو يختار في كل مجلس ما يغنيه بعد أن ينظر فيمن حوله من الجلوس، إن كانوا من الشباب أو من الشيوخ، وهل هم من المتعلمين من الشباب كما يقول الأستاذ محمد علي مغربي -رحمه الله- الذي يروي عن الأستاذ حسن جاوه ومجالسه، وكيف كان يختار من شعر الغزل القديم أو الحديث، ويحرص على تشكيله ونطقه وإخراجه، وكان رجلاً ذواقة، يعطي السامعين ما يرضي أذواقهم ويطربهم، وفي بعض الأحيان كان ينشد القصائد الحماسية لعنترة بن شداد، وأبي فراس الحمداني، أما إذا رأى المجلس يزدحم بالعلماء فينشدهم من الأشعار الصوفية التي تلائم ذلك المجلس.

وفي أثناء حياة الشيخ حسن جاوه وبعد وفاته كان هناك بعض الرجال الذين واصلوا مسيرة الغناء، أمثال حسن لبني الذي كان يجيد الإنشاد ويمتاز بقوة طبقات الصوت وإجادة المقامات، وكان في الوقت نفسه يؤذن في الحرم وجاء معه في تلك الفترة الأستاذ عمر عيوني، وعبدالرحمن الابلاتيني، ومحمد بن شاهين.

وكان مجيداً في مجال الغناء الصرف رجال أمثال الأستاذ طارق عبدالحكيم، والأستاذ محمد علي سندي، جاؤوا بعد فترة الشيخ حسن جاوه، وتوالت المراحل حتى ظهر محمد أمان، والحلواني، وعبده ركي من الشامية، وعبدالله ركن، وخطاب، والجسيس محمد آشي والد جلال آشي.

وكان هناك من يتقن العزف على الآلات الموسيقية، ولكنهم كانوا يمارسون ذلك في السر بعيداً عن العيون والآذان في أقبية البيوت أو في الأماكن المكتومة، التي لا تظهر فيها أصوات آلات الطرب، أو في الخلاء بعيداً عن العمران.

وكان المغني إذا انتهى من المجس بدأ بالغناء، وكان هذا الغناء على أنواع وكان أشهره الطريقة اليمانية، وهو غناء راقص وللطبل فيها مكان بارز، ولعل أشهر من يمثل هذا النوع من الغناء في الوقت الحاضر هو المغني الأستاذ محمد علي سندي رحمه الله.

وكان هناك الغناء العراقي ويسمون النغمة عراق، وكان أشهر وأجود من يؤديه المرحوم إسماعيل كردوس، ويشعر السامع بالشجن الذي تمثله تلك النغمة الطويلة التي يختم بها المغني إنشاده، والتي تسمع فيها بعضاً من نواح الروح الشجي الحزين.

وكان هناك الغناء المصري وكان أجود من يتقنه هو المرحوم سعيد أبو خشبة، وكان مغنيا شابا من مكة المكرمة، ويأتي في ترتيبه بعد كل من حسن جاوه والكردوس، ولعله حينما بدأ الغناء كان أولئك على مشارف شيخوختهم، وكان الغناء المصري قد انتشر بفعل الراديو الذي ظهر في مصر للمرة الأولى في الخمسينات بعد تأسيس الإذاعة المصرية، وأخذ الناس يستوردون أجهزة الراديو، ويلتقطون هذه الإذاعة ويستمعون إلى أغاني أم كلثوم التي كانت تقام لها حفلات شهرية، وإلى أغاني محمد عبدالوهاب وصالح عبدالحي، وفريد الأطرش، فكان هواة الغناء ومحترفوه يقلدون هذه الأغاني، وكان البعض منهم يتقنها إتقاناً جيداً كما رصد ذلك نفس المرجع.

تلك هي نماذج من الحياة الاجتماعية في الحجاز في تلك الفترة، أما فيما بعد ذلك وما تلاه من تطورات بعد ظهور البترول وانتشار الأقمار الصناعية، فقد حصلت تحولات كبيرة في المجتمع، أثرت فيه تأثيراً كبيراً، وغيرت بين معالمه ومظاهره، بل وحتى من مكوناته الاجتماعية، وغيرت من طبائع الأسرة والأفراد والمجتمع ككل، ولا شك أن أهم المؤثرات التي أثرت بصورة كبيرة هي:

أولاً: تطور دخول الأفراد والأسر بصورة سمحت لكثير منهم بالسفر إلى خارج المملكة، وكان أهل مكة لا يحبون السفر إلى خارج مكة، وأقصى ما يذهبون إليه هو مدينة الطائف في الصيف.

وبعض العوائل الموسرة وبعض من التجار وأهل المصالح يذهبون إلى جدة لقضاء بعض حوائجهم، وما عدا ذلك فأهل مكة يكرهون مغادرتها، ومعظمهم إذا غادرها يحرص على أن يعود إليها في نفس اليوم، فجاءت الدخول الجديدة وشجعت الناس على السفر إلى مصر، ثم إلى منطقة الهلال الخصيب في سوريا ولبنان والأردن، ثم حصلت بعد ذلك قفزات فانتقل الناس وتحولوا إلى السفر إلى تونس والمغرب، ولا شك أن هذا كان من المؤثرات التي تعرضوا فيها لعادات وتقاليد لم يكونوا يألفونها، وبالذات في مسألة الحجاب ومسألة الاختلاط، والشباب الذي لم يكن يشاهد امرأة غير متحجبة، وبدأت المسألة في التطور شيئاً فشيئاً وانتقلوا للسفر بعد ذلك إلى أوروبا وأمريكا وغيرها.

وهذا الأمر وإن كان تأثيره في بادئ الأمر محدوداً، إلا أنه أصبح بعد ذلك رافداً مهماً من روافد التغير الاجتماعي.

ثانياً: عندما بدأت الدولة في تنفيذ خطط التنمية، وبالذات في مجال بناء الطرق والموانئ وبرامج الإسكان والمدارس، احتاج الأمر للاستعانة بعمالة من خارج البلاد، وتم فتح الباب واستقدام أعداد كبيرة من العمال من مختلف الجنسيات العربية والأجنبية ومن مختلف المذاهب والديانات.

وأخذ الأمر يتطور شيئاً فشيئا، ومع تحسن دخول الناس تم فتح باب التعاقد مع عمالة أجنبية للمنازل، هنا بدأت ملامح الخطر أولا حيث دخلت العمالة الأجنبية النسائية إلى المنازل، وأخذ الناس يعتمدون عليها بدرجة كبيرة، حتى إن أعداد الخادمات والخدم من الرجال يفوق عدد الأسرة في كثير من الأحيان، وأخذ دور الأم يتراجع، وهذا من أخطر مراحل تأثير العمالة الأجنبية على المجتمع المكي، ثم أخذ هؤلاء العمال ينتشرون في كل عمل، وتراجعت العمالة الوطنية بعد أن كان الناس يقومون بكل شيء، حتى في حلقات الخضار وفي الأطعمة والألبسة وحتى في خدمة الحرمين الشريفين التي كان يعتز بها أهل مكة، فقد حلت محلهم العمالة الأجنبية، وتراجعوا وانصرفوا، وعزفوا عن العمل، وغفلوا عن تعليم أولادهم حب العمل، حتى في المقابر أصبحت العمالة أجنبية، وهكذا أثرت هذه العمالة الأجنبية تأثيراً كبيراً وأدت إلى تراجع اليد الوطنية العاملة، وتطور الأمر أكثر وأكثر عندما اتجهت الاستثمارات في الصناعة، وظهرت الحاجة إلى استقدام ملايين العمال، حتى بلغوا سبعة ملايين عامل - كما ذكرت -، وكان لمكة نصيبها من هذه العمالة الأجنبية، ولا يستطيع أي عاقل على بصيرة من أمره أن ينكر تأثير هذه العمالة في مجتمع المملكة العربية السعودية وفي مدينة مكة المكرمة تراه واضحاً جلياً، فأنت ترى الشباب يتسكع في الشوارع، وينشغل بتوافه الأمور في وقت يقوم فيه العمال الأجانب بكل شيء.

وبكل أسف فإن التأثير الأكبر هو في المنازل وفي تربية الأولاد، فقد أدى هذا إلى تحولات اجتماعية مؤثرة وخطيرة داخل الأسرة، وقد ساهمت الجامعات بكل أسف في صناعة هذه البطالة عندما بقيت على حالها وتجمدت مناهجها، واستمرت على نفس تخصصاتها

دون أن تنظر إلى التحول الذي تم في المجتمع، فالجامعات ما تزال تخرج طلاباً في الآداب وفي الاقتصاد العام وفي الإدارة العامة، ومن يتخرج ليس له عمل، خاصة وهو يدرس تخصصات لم تعد مطلوبة، ومناهج أكل عليها الزمن وشرب، ولم تعد هذه المناهج صالحة، ولا تعين المتخرج في الحصول على عمل، وتطور كل شيء، وبقيت بعض مناهج الجامعات جامدة بكل أسف، غائبة عن حاجات المجتمع، فساهمت بدون قصد في صناعة البطالة، وخرجت الآلاف من الشباب، وقذفت بهم يتسكعون فلا يجدون أي عمل، رغم شعار السعودة الذي رُفع، إلا أن الشباب غير مؤهل للعمل، وغير محب للعمل، وذلك لأننا جامدون في نظامنا التعليمي.

- لأننا لم نحسن تربية أولادنا، ولم نعد المعلم الكفء!
- لأننا لم نستفد من التجارب العالمية المتطورة في مجال التعليم.
- لأننا ظللنا وحتى يومنا هذا نراوح في مكاننا بالنسبة للتقدم في التعليم، والعالم حولنا يتغير.
- لأن التعليم عندنا لا يزال يعتمد على السبورة والطباشير والوسائل اليدوية.
- لأن مناهجنا تتسم بالحشو والتكرار وتبعث على الملل، وخالية من أي معلومات تواكب العصر الذي نعيشه.
- لأن الصورة في التعليم الابتدائي –بالذات- تغيرت في العالم ونحن كما نحن، بل بالعكس أخذنا نسير إلى الوراء، وعدد الطلاب في الفصول يزداد عاما بعد عام.

التعليم الجامعي في العالم تطور، وأصبح فيه التخصص حتى وصل إلى الجامعة المصنع، ونحن ما تزال جامعاتنا تخرج الآلاف الذين لا يجدون عملا ويتسكعون في الشوارع.

وعندما جاءت الطفرة توسعنا في افتتاح المدارس، وأعددنا مدرسين لم يختاروا مهنة التدريس –أساساً- عن قناعة ورضا، ولكنهم اختاروها لأنهم لم يوفقوا في القبول في كليات أخرى، وحتى الآن لم نتمكن من الإعداد الجيد للمدرس.

وكانت خطواتنا سليمة عندما افتتحنا الجامعات واستقدمنا أساتذة متخصصين من معظم الجامعات العالمية، لكننا أخطأنا الطريق ونحن نتعجل السعودة، وأنهينا عقود العديد من الأساتذة بحجة إحلال سعوديين محلهم، ونسينا أو تناسينا أن الجامعات العريقة تتعاقد وباستمرار مع أساتذة متخصصين في مختلف المجالات من أي جامعة في العالم.

ثالثاً: جاء التأثير الثالث والخطير عند انفتاح العالم ووصول القنوات التلفزيونية الفضائية إلى الناس بكل سهولة، وزاد عدد القنوات على مئتي قناة، ولا شك أن ما يقدم في هذه القنوات قد أثر وغيَّر في عادات الشباب من البنين والبنات، وأخذوا يتعلمون بكل أسف مما في هذه القنوات التي أثرت في حياتهم وغيَّرت من طبائعهم وأفكارهم، من خلال ما تقدمه من أفلام وما تبثه من أفكار، والناس في غفلة عن كل ما يجري، فالأب لم يعد يتابع شؤون أولاده إلا من رحم ربّي، والأم تخلت عن دورها للمربية، وأدى هذا بكل أسف

إلى تهيئة الفرصة لتأثير مثل هذه القنوات من جهة واختلاط أولاد الأسرة بالعاملين الأجانب وأخذ عاداتهم وتقاليدهم من جهة أخرى، وغابت التربية عن الأسرة وتغيرت الحارة وتقاليدها وعمدتها ونقيبها ورجالها، واختلط الحابل بالنابل، وبدأت تحولات اجتماعية تظهر في الأسرة، فالأم تهتم بملابس بناتها ومظهرهن أكثر من اهتمامها بتربيتهن، ولم تعد قضية التربية وقضية الأخلاق هي الأساس.

رابعاً: جاء التحول الأخطر عندما زاد الطلب على المدرس وأخذنا نتوسع بصورة سريعة، فأصبحنا نستعين بالمدرس أي مدرس لسد الحاجة، وأدى ذلك إلى تعيين أحداث من الشباب ليس لديهم أي خبرة، وبعضهم غير مؤهل للتدريس، وغير مؤهل تربويا، ولكنه يحمل الشهادة، وقذفنا بهم إلى المدارس، وخاصة في القرى، وهذا من أخطر الأمور التي فعلناها وأرغمتنا عليها الحاجة إلى مدرس أي مدرس، ورفعنا علم السعودة في هذا المجال الذي كان يجب أن نكون فيه أكثر روية، وأن نعتمد وخاصة في المراحل الأولية الابتدائية على مدرسين مؤهلين، فإننا إنما نبني للمستقبل ولا يصح أن نتعجل على هذا النحو الذي فعلناه.

إننا نحتاج أن نقف لحظة لنتصارح ونتفق على خطورة التحول الاجتماعي الذي يتم في بلادنا، وأننا نعيش فترة من الانهيار الأخلاقي ظواهره متعددة، ولكن في الجملة نستطيع أن نتبين أننا نعيش أزمة تربوية ونعاني من خلل أخلاقي، حتى لغة التخاطب بين الشباب اختلفت، والكلمات التي يستخدمونها تدل على مدى التردي الأخلاقي إلا من رحم ربي.

وقد تحول جانب من حياة الشباب إلى العنف، ليس اللفظي فقط، بل إلى العنف البدني، وهكذا بدأنا نحس أن هناك خللا تربويا، ولا بد أن نعترف بخطورة التحولات الاجتماعية، وأن نتحمل جميعاً مسؤولية تصحيح المسار، فلا نلقي اللوم على جهة دون أخرى، وأن نتحمل متعاونين مسؤولية العمل لتصحيح المسار وتعديل هذه الظواهر وإصلاحها، فقد أصبحت تؤثر على قيمنا ومبادئنا وحياتنا بل على مستقبلنا كافة.

والحل في رأيي يبدأ بإصلاح التعليم ومناهج التعليم ورجال التعليم، وخاصة النواة الأولى والمدرس والمدرِّسة، فلا بد من تغيير مناهج التربية ومناهج كليات التربية، والتركيز فيها على القيم والأخلاق، والاستفادة في الوقت نفسه بصورة فعالة من التطور الكبير الذي حصل في مجال التربية والتعليم، واستخدام العقول الالكترونية والحاسب الآلي، وتطوير قدرات أولادنا وإمكاناتهم، وتحسين مستوى المدرس، وتغيير الكتب والاستعانة بالبرامج الالكترونية، وعلوم الكمبيوتر، ولا بد أن نعي حقيقة مهمة، وهي أن البداية من هنا من التعليم ومنهج التعليم وكتاب التعليم والمدرس، حتى نصحح أوضاعنا ونعدل ونصحح الأخطاء التي وقعت، والمهم أن نتحرك قبل فوات الأوان، وقبل أن تتعقد المشكلات أكثر وأكثر.

خاتمة

تلك هي رحلتي من الفقر، وعمل السقاية، والعمل في دكان الوالد، وتلمس طريق المستقبل. دراسة في الصباح، وتردد على أروقة الحرم المكي الشريف، وتتلمذ على أيدي العديد من المشايخ، والأساتذة، وأفاضل الرجال والنساء، ومروراً بالدراسة في جامعة الملك سعود، والسفر إلى أمريكا والعودة منها، وانتهاء بالعمل في الجامعة، ثم في وزارة المعارف، فجامعة الملك عبدالعزيز، فوزارة الإعلام، ومن ثم التفرغ للعمل الإنساني والبحثي في نهاية المطاف.

وهي -كما ترون- رحلة قدرها الله، وأرادها، وكتبها لي، وأسعدني بها، ولا أقول إنني قد شقيت ببعضها، وإنما أقول إنني استفدت من كل محطة مررت بها، أو توقفت عندها، وهي جميعاً حلقات متواصلة ترينا كيف يريد الله بعباده الخير، وينقلهم من حال إلى حال، ويضع على عواتقهم تبعات المسؤولية.

والحقيقة أنني كنت راضياً بكل خطوة كتبها الله لي، وأعانني عليها، ووفقني للعمل على إتمامها، وإن كان ما أسعدني أكثر، وجعلني أشعر بأن إرادة الله عظيمة، وأقداره متحققة، لصنع الخير للإنسان، هو أن أتجه إلى الدعوة، وأن أعمل من أجل نشر ثقافة التسامح والمحبة بين الناس في الأرض.

فإذا عرف هذا الإنسان كيف يستثمر ما وهبه الله من طاقات وإمكانات، ويوجهها نحو الخير، فإنه ينام قرير العين، مرتاح الضمير، وذلك ما وفقني الله له، ومتعني به، وأسأله تعالى العون عليه.

فأنا أجد سعادة كبيرة في تضميد جراح إنسان، وعون من يحتاج إلى العون، والوقوف إلى جانب صاحب كل حق، وإن دفعت حياتي مقابل ذلك، وسوف أواصل هذا المنهج إلى أن يتولاني الله، ويختارني إلى جواره، لأنني أؤمن بأن الإنسان خلق لما قدره الله له، وأوجبه عليه، فإذا لم نعمل من أجل الخير، فإننا لا نكون عند ذاك من الشاكرين.

جعلني الله وإياكم من الذين يحسنون القول، والعمل، ويرجون من وراء ذلك -كل ذلك- المثوبة عند الله والعاقبة للمتقين.

تواريخ مهمة

السنة	الحدث
1940/ 1360	ولد محمد عبده يماني في مكة المكرمة
1949/ 1369	محاولات كتابية مبكرة
1953/ 1373	الشهادة الابتدائية من مدرسة الفلاح
1956/ 1376	الكفاءة المتوسطة من مدرسة الفلاح
1959/ 1379	انتقل مع أسرته إلى بركة ماجد بالمسفلة
1959/ 1379	الثانوية من مدرسة الفلاح
1959/ 1379	تقدم بطلب البعثة لمصر بعد إنهاء الثانوية لكن طلبه رفض لأن اسمه يوحي بأنه ليس مواطنا سعوديا، فتوجه لجامعة الملك سعود بالرياض وقبل بكلية العلوم
1963/ 1383	بكالوريوس في الجيولوجيا، عمل بعدها معيدا في الكلية لمدة عام واحد ابتعث بعده إلى الولايات المتحدة الأمريكية
1966/ 1386	ماجستير في الجيولوجيا الاقتصادية
1968/ 1388	دكتوراه في تخصص اقتصاديات المعادن من جامعة كورنيل في نيويورك مع دبلوم عال في إدارة الجامعات
1968	عاد إلى الرياض وعين كأستاذ مساعد ومن ثم أستاذ مشارك فأستاذ وعمل وكيلاً لكلية العلوم
1972/ 1392	وكيلاً لوزارة المعارف
(1392/8/4 حتى 1393/7/28)	وكيلاً لجامعة الملك عبدالعزيز بجدة
(1393/7/28 حتى 1395/9/20)	مديراً لجامعة الملك عبدالعزيز
1395/10/8	عين وزيراً للإعلام
1403/7/11	أعفي من وزارة الإعلام

كشاف الأحداث

كشاف الأعلام

نورة الفايز	95
هاشم عبده هاشم	107
هشام ناظر	47
وفاء الخطيب	55
وهيب بن زقر	73
يوري جاجارين	131
يوسف السباعي	114
يوسف عبدالمنان	16

كشاف الأماكن والجهات الحكومية

وزارة الخارجية العراقية	65
وزارة الدفاع والطيران	135
وزارة المعارف	59، 66، 68، 71، 75، 132، 133، 164

فهرس